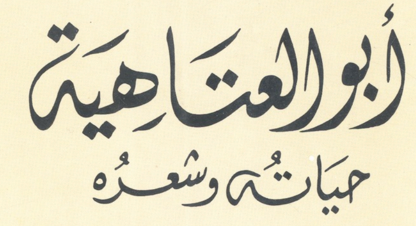




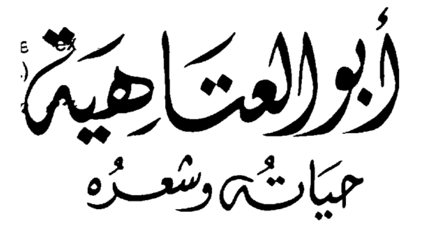
جعفر خريباتي

دار
الفكر اللبناني

أبو العتاهية

حياته وشعره

شعراء العرب



أبو العتاهية

حياته وشعره

جعفر خرباتي

دار الفكر اللبناني
بيروت

دار
الفكر اللبناني

للطباعة والنشر

كورنيش المزرعة - تجاه غلوب بنك
هاتف: ٣١١٥٧٨ - ٨٦٣٢٩٢
ص.ب: ٤٦٩٩ أو ١٤/٥٤٩٠
تلكس: DAFKLB 23648 LE - بيروت، لبنان

الطبعة الأولى ١٩٩٢

مطابع يوسف بيضون
بيروت - هاتف: ٨٣٧٣٤٧ - ٨٣٧٤٤٩ - ٤٦٠٧٤٣

١ ـ سمات الحياة العامة في العصر العباسي الأول

١ ـ كانت الخلافة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين زعامة دينية دنيوية ، وكان الدين فيها أقوى وأظهر .

أما في العهد الأموي فكانت الخلافة عربية إسلامية ، ذات قوّة مركزية واسعة ، انحسر فيها الوازع الديني ، وقوي النفوذ العربي ، وهيمن على مرافق الدولة في جميع البقاع ؛ بحيث حظي العربي بميزةٍ دون سواه عن بقية العناصر والأجناس في الدولة .

وفي عـام (١٣٢ هـ) آل أمر الخـلافة إلى بني العبـاس ، فقامت دولة مترامية الأطراف ، عظيمة الشأن ، شهـدت أزهى وأرقى حضارة .

وكان من أبرز مظاهرهـا أن قوي واشتـدّ النفوذ الفـارسي ، والتركي ، في الجيش ، والسلطة عامّة .

هذا وقد تمثّلت الخلافة العباسية من الوجهة السيـاسية في عهدين اثنين .

أ ـ العهد الأول ، وهو عهد القوّة ، والمنعة ، عاش فيها الخلفاء أعزّاء ، وأصحاب هيبة وطموح ، وذلك في القرن الثاني الهجري ، وبعض الثالث (أي الثامن والتاسع للميلاد) .

ب ـ العهد الثاني ، وهو عهد يُعرف بالانحلال السياسي ، بحيث تخاذل فيه الخلفاء ، وضعفت هيبتهم ، واضمحلّ نفوذهم ، ويصادف القرن الرابع الهجري (العاشر للميلاد) بداية الانحسار ، والضعف ؛ بحيث أصبحت بلاد فارس في يد بني بويه ، والموصل ، وديار بكر ، وديار ربيعة ، ومضر في يد بني حمدان ، ومصر ، والشام في يد محمد بن طُغْج ، ثمّ آلت إلى يد الفاطميين .

٢ ـ أما من الناحية العقلية ، فشهدت الحياة العباسية تزاوجاً في الجنس واللغة والثقافة .

أ ـ فقد كانت الدولة العباسية تمتدّ من حدود الصين وأواسط الهند شرقاً ، إلى المحيط الأطلسي غرباً ، ومن المحيط الهندي والسودان جنوباً ، إلى بلاد الترك ، والخزر ، والروم ، والصقالبة شمالاً .

وكان يعيش فيها منذ القدم شعوب متباينة في الجنس واللغة والثقافة ، غير أنها لم تكد تدخل في نطاق الدولة الإسلامية العربية ؛ حتى أخذت عناصرها المختلفة تمتزج بالعنصر

العربي امتزاجاً قويّاً ، وتنصهر في الوعاء العربي الإسلامي ؛ حتى غدت كأنها جنس واحد .

وهكذا أسرع مَنْ أسلم من الشعوب المفتوحة ، إلى تعلّم القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، وتعلّم العربية ، وبالأخص الفرس الذين أقبلوا على التعرّب إقبالاً منقطع النظير .

ب ـ وقد تحوّلت الثقافات المتعدّدة في الأصقاع المفتوحة ، إلى العربية ، وأهمّها : الهندية ، والفارسية ، واليونانية .

وهكذا اقتبس العرب كثيراً من صُوَر حياة هذه الشعوب ، وبالأخص الفرس الذين نقلوا الكثير من مظاهر حضارتهم إلى المجتمع الإسلامي . أما اختلاط العرب بالبيزنطيين فجاء محدوداً ، وذلك عن طريق الرقيق الذي كان يقع في الأسر ، كما جاء تأثّرهم باليونان عن طريق النقل والترجمة .

ج ـ كما نجد في هذا العصر ، أنّ العربي أخذ يشقّ طريقه نحو الازدهار ، ويغمر الأرض الإسلامية بنور الهداية والمعرفة . حتى أنّ كثيراً من المدن الإسلامية آنذاك تحولت إلى مراكز حضارية كان لها أشد التأثير على محيطها .

(فبغداد) عاصمة الخلافة ـ كانت المركز الأوّل للأدب العربي العباسي ، ومن أهم حواضر العلم والمدنية .

ففي بغداد اجتمعت الشعوب المختلفة ، والأفكار

المتعدّدة ، وامتزجت الثقافات المتنوعة .

أما (البصرة ، والكوفة) ؛ فكانتا بؤرتين للإشعاع والتنافس . هذا فضلاً عن (المدينة) في الحجاز ؛ حيث نضجت فيها علوم الدين ، و (الفسطاط) في مصر ؛ حيث ازدهرت علوم اللسان والدين ، وكذلك اشتهرت كلٌّ من : (بخارى) بخراسان وتركستان ، و (جرجان) بطبرستان و (غزنة) بالهند وأفغانستان ، و (القاهرة) بمصر ، و (حلب) مقرّ الدولة الحمدانية في بلاد الشام .

د ـ أما معاهد العلم في العصر العباسي فكانت تتمثل بالكتاتيب لتعليم الصبيان ، والمساجد التي كانت موئلاً للعبادة والثقافة ، ومجالس المناظرة في الدور ، والقصور ، والجوامع بين العلماء والفقهاء في حضرة الخلفاء . كما كانت المكتبات الضخمة أهم المراكز الفكرية آنذاك ، ومن أشهرها (خزانة بيت الحكمة) التي أسّسها الرشيد وأنماها واهتمّ بها المأمون .

وكان لا بد للأدب من أن يتأثّر بالحياة ، وأن تطرأ عليه عوامل جديدة ، تخلع عليه ألوانها وتسير في مراقي التطور الحضاري .

وفي هذا العصر ازدهرت العلوم والآداب الأجنبية عن طريق النقل والترجمة ، وغدا الأدب في هذا الغمار مرآة جليّة لهذا الشعب الجديد في ميوله ، ومنازعه ، وفي عيشه وترفه ، وفي

زخرفة قصوره ، وألوان بيئته ، وفي ثقافته ، وانطلاقه .

٣ ـ مظاهر التبدل التي طرأت على الأدب العباسي

عظم شأن التجديد في الأدب ، وبلغ مدى الثورة ، والتمرّد ؛ إلّا أنّه لم يكن حاسماً لأصالة القديم ، وقوّة أنصاره ، فقد عاش معه جنباً إلى جنب ؛ بحيث بقيت الأغراض الشعرية التقليدية ماضية في طريقها على نحو يشبه ما كانت عليه قبل العصر العباسي الأول .

وكان من أنصار القديم علماء الكلام ، وأصحاب السير فضلاً عن الخلفاء أنفسهم . أما الأغراض الجديدة التي طرقها الشعراء في هذا العصر ، فأبرزها يتمثّل ؛ (بالشعر الفكري ، والفلسفي ، والشعر التعليمي ، وشعر المجون ، والزهد) . هذا ويتمثل التجديد في الشعر العباسي فنيّاً بالنقاط التالية :

أ ـ الثورة على الأطلال .

كانت الثورة على الأطلال في مظاهر التجديد رمزاً أساسياً ، فهي لم تكن ثورة فرد كأبي نواس أو ثورة شعوبية ، ولكنها كانت ثورة فكرية فنيّة عمّت أكثر الشعراء ، وتمثلت في التعبير عن الذات ، وعن الاتجاه الواقعي الجديد للحياة الحضرية ، واتجهت أيضاً للتعبير عن قضايا الشعب ، لنحسّ فيها ضرباً من النزعة الإنسانية من جهة ، ومن جهة ثانية تعبّر عن روح الحياة العباسية المرفهة .

ب ـ اهتمام الشعراء بإحداث تنوع موسيقي في داخل قصائدهم عن طريق إيجاد عبارات منسّقة ، أو قواف داخلية . فالغناء أثّر تأثيراً بارزاً في موسيقى الشعر وألحانه في العصر الأموي ، إذ ساد فيه نظم المقطوعات القصيرة في الغزل ، وأخذ الشعراء يعدلون غالباً عن النظم في الأوزان الطويلة إلى النظم في الأوزان الخفيفة ، فأكثروا في تجزئة الأوزان الأولى ، بحيث ظهرت خروق أو زحافات نفذ منها الشاعر (الوليد بن يزيد) إلى استكشاف وزن المجْتَث .

وانتقلت موجة الغناء إلى الكوفة في أواخر العصر الأموي ، حتى إذا كان العصر العباسي الأول بلغت في مدن العراق كلّ ما كان يُنتظر لها من حدة وقوة . فمن جهة صُفِّيَتْ لغة الشعر وبلغت كل ما يمكن من رشاقة وعذوبة ونعومة . ومن جهة ثانية اتسعت الملاءمات الموسيقية العروضية مع الغناء ، فإذا القصيدة الطويلة تكاد تختص بالشعر الرسمي (شعر المديح والرثاء) بينما تشيع المقطّعات في الغزل والهجاء والمجون والزهد والحكم[1] .

وهكذا مضى كثير من الشعراء ينظمون في الأوزان الخفيفة والمجزوءة ، وفي وزن المجتث الذي اقترحه (الوليد بن

---

(١) د. شوقي ضيف : العصر العباسي الأول ص : ١٩٣ .

يزيد) ، وفي خير مَنْ يمثّل ذلك (مطيع بن إياس) الكوفي ، الـذي يُكثـر من مجـزوءات الخفيف والبسيط والـرجـز ، والكامل ، والرمل ، أو من الهزج ، أو من المجتث على شاكلة قوله[1] .

ويـلي مـمّـن جـفـانـي وحُـبُّـه قـد بـرانـي
وطـيـفـه يـلقـانـي وشـخـصـه غـيـر وانِ

ولم يلبث الشاعـر العبـاسي أن حـاول النفـوذ إلى أوزان جديدة ، فإذا به ينظم شعراً على وزنين سجلهما (الخليل بن أحمـد) حين وضع نـظرية العـروض ، وهما وزنـا المضـارع والمقتضب .

أما المضارع فأجزاؤه مفـاعيلن فاع لاتن مفـاعيلن ، ودائماً تحذف فيه التفعيلة الأخيرة ، ومنه مقطوعة أبي العتاهية[2] :

أيـا عـتـب مـا يـضـرُّ ك أن تـطلقـي صـفـادى

وأما المقتضب فأجزاؤه مفعولات مستفعلن ، وتحـذف منه التفعيلة الأخيرة ، كما جاء في مقطوعة أبي نواس :

حـامـل الـهـوى تـعـب يـسـتـخـفـه الـطّرب

---

(١) الأغاني : ١٣/ ٣١٨ .
(٢) أبو العلاء المعرّي : الفصول والغـايات ، ص : ١٣٢ (الصفـاد : القيد) .

إن بكى يحقّ له ليس ما به لعب[1]

ونظم الشاعر العباسي على وزن بحر المتدارك أو الخبب ويقال إنّ الخليل بن أحمد لم يسجله في عروضه ، إنّما سجّله تلميذه الأخفش ، ولكنه وإن كان لم يقترح له اسماً فإنه عرفه ونظم منه أشعاراً مختلفة ، من مثل :

أبكيت على طلل طرباً
فشجاك وأحزنك الطّلَلُ[2]

وكذلك :

ليس المرء الحامي أنفاً
مثل المرء الضيّم الراضي[3]

هذا وقد وضع الشاعر العباسي منه نماذج كي يحاكيها ، وكان أوّل من بادر إلى محاكاته ـ فيما نظن أبا العتاهية ، فله على نسق مقطوعته الثانية بيتان نظمهما في بعض القضاة على هذه الشاكلة[4] :

همّ القاضي بيت يُطرب
قال القاضي لما طولب

---

(١) ديوان أبي نواس ، ص : ٣١٦ .

(٢) مراتب النحويين لأبي الطيّب اللغوي ، ص : ٣٢ .

(٣) الحامي أنفاً : العزيز الأبي ـ الضيم : الذليل . (مراتب النحويين) .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ، ٣/٣٦٠ .

مـا فـي الـدنـيـا إلا مـذنـب
هـذا عـذر الـقـاضـي واقـلـب

وعن ابن قتيبـة أنّ أبا العتـاهية عني بصنع الأوزان المهملة منها[1] :

للمنـون دائـراتٌ يُـدِرْن صـرفهـا
هنَّ ينـتقـينـا واحــداً فـواحــداً

وقوله :

عُـتْـبُ مـا لـلخـيـال خـبـريـنـي ومـا لـي
لا أراه أتـانـي زائـراً مُـذْ لـيـالِ

فوزن البيت الأول فاعلن مستفعلن مرتين بعكس البسيط ، بينما وزن البيت الثاني فاعلن فاعلاتن مرتين وهـو عكس وزن المديد . والوزنان في الأوزان التي تستنبط من دوائر الخليل بن أحمد .

هذا وقد أكثر أبو العتاهية من الرباعيات سواء في الغزل أو في الزهد مثل قوله في الموت[2] :

الـمـوت بـيـن الـخـلق مـشـتـرك،
لا سُـوقَـةٌ يـبـقـى ولا مَـلِكُ
مـا ضـرَّ أصـحـابَ القـليـل، ومـا
أغـنـى عـن الأمـلاكِ مـا مَـلَكُـوا

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص : ٧٦٦ .
(٢) ديوان أبي العتاهية ، ص : ٣١٠ .

فهذه الرباعية تتألف من أربعة أشطار تتفق بثانيها ورابعها في قافية واحدة ، أما الشطر الثالث فقد يتخذ نفس القافية وقد لا يتخذها .

ومن قول أبي العتاهية في رباعياته أيضاً[1] :

إنَّما أنت بحسِّكْ، وَمِنَ النَّاسِ بأُنْسِكْ
لا يفُوتنك بيومِكْ، ما فاتَ منك بأمسِكْ
إرحَمِ الناس جميعاً، فهُمُ أبناءُ جنسِكْ
إبْغِ للنَّاسِ مِنَ الخيْـرِ، كما تبغي لنفسِكْ

* * * *

ج ـ وأخيراً استحدث الشعراء المولدون أسلوباً جديداً يؤثرون فيه الليونة والسهولة مثل شعر أبي العتاهية الذي عمّم ذلك في الشعر الرسمي (شعر المديح) ، والشعر الشخصي (شعر الخمر ، والغزل) ، (وشعر الزهد والوعظ) .

فأشاع أبو نواس ، وأبو العتاهية ، وأبو الشمقمق ، وغيرهم في أسلوبهم المولد الألفاظ المنتخبة مع العذوبة والرشاقة حيناً ، والجزالة والرصانة حيناً آخر ، يهديهم في ذلك ذوقهم المتحضّر .

---

(١) ديوان أبي العتاهية ، ص : ٣١٠ .
(الحس ، لعله من حس له : رق له) .

٤ ـ المجون والزندقة

ورث المجتمع العباسي كلّ ما كان في المجتمع الساساني الفارسي من مظاهر اللهو والمجون ، فإذا الفرس يمعنون في مجونهم ويمعن معهم فئة من الناس ، فقد مضوا يعبون الخمر عباً ويحتسون كؤوسها حتى الثمالة ، وحاكاهم من عايشهم حتى أصبح الإدمان عليها ظاهرة عامة على الرغم من نهي القرآن الكريم عنها وحضّه على اجتنابها[١] .

فالقرآن عزَّ شأنه يقول : ﴿ **إنّما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** ﴾ .

هذا وقد اتخذت جماعة ليست بالقليلة الخلاعة شعاراً ، والمجاهرة بالفاحشة عنواناً ، والزندقة معتقداً[٢] .

وكان أبرزهم ، والبة بن الحباب ، وأبان اللاحقي ، وعمرو الخاركي ، ومطيع بن إياس ، وصالح بن عبد القدوس ، وأبا نواس ، والقراطيسي ومن قبلهم ، حماد عجرد ، وحماد

---

(١) د . شوقي ضيف . العصر العباسي الأول ص : ٦٥ .
(٢) د . مصطفى الشكعة . الشعروالشعراء في العصر العباسي ، ص : ١١٧ .

الراوية ، وبشار بن برد . هذه الطائفة من الشعراء ، ومن لفّ لفّهم من طبقات الشعب ، اتخذوا الاسراف بالخمر ، ومجالس الأنس ، ومعاشرة الغلمان ، والتطرّف بإعلان الإلحاد ، والسخرية بالدين . كما حملوا على العرب حملة شعواء ، فأخذت الشعوبية تنمو وتزداد حتى شكلت خطراً على السلطة نفسها .

فها هو أبو نواس يبغض العرب وأساليبهم في الحياة ، ويحب العجم ، ويتعاجم في شعره ، فيقول :

عاج الشقي على رسم يسائله
وعجت اسأل عن خمارة البلد
يبكي على طلل الماضين من أسد
لا در درك قل لي من بنو أسد
ومن تميم ومن قيس ولفهما
ليس الأعاريب عند الله من أحد

وقال :

فاسقنيها، وغنّ صوتاً، لك الخيرُ، أعجما
ليس في نَعْتِ دمنة لا ولا زَجْرِ أشْأَما

هذا وقد تحّولت بعض البساتين إلى حانات كبيرة للخمر والمتعة بسماع المغنين والقيان ، وكانت الأديرة تقدّم لروّادها الخمر المعتّقة ، فيقول أبو نواس في دير حنّة :

يــا دار حــنّــة مــن ذات الأُكــيــراح
من يصحُ عنك فإني لست بالصاحي
رأيـت فيــك ظـبـاءً لا قــرون لـهــا
يــلعبْــن مــنــا بــألــبــابٍ وأرواحِ

ومن مظاهر الانحلال الواضحة ذات الأثر السيّء في المجتمع العباسي ، ظهور آفة مزرية هي آفة التعلّق بالغلمان المُرْد ، وكان أول من اشتهر بالتغزل فيهم والبة بن الحباب ، ويقال إنه هو الذي يتحمل وزر إفساد أبي نواس[1] .

وقد ألّف أبو الفرج الاصبهاني كتاباً بكامله عن أخبار القيان ، وكذلك الجاحظ ألّف رسالة نفيسة تصوّر هذا القطاع من مجتمع القرنين الثاني والثالث بعنوان (رسالة القيان) وكان الخطر الشديد في تطرف هذه الطائفة يمثّل في إنكار البعث ، وإعلان الزندقة ، فعمرو الخاركي ، يقول :

وعـشـت كـالـمـغـرور فـي ديـنـه
يــوقـن بـعـد الـمـوت بـالـبـعـث

وأبو نواس ، يقول :

مــا صحّ عنـدي في جميـع الـذي
تــذكــر إلاّ الــمــوت والــقــبــر

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ٣/ ٢٢٠ .

ويقول كذلك :

يـــا من يلوم عـلى صهبــاء صــافيــة
صرْ في الجنـان ودعني أسكن النــارا

هـذا ويختلف الباحثـون في اجماعهم حـول زندقـة مؤكّدة لمعظم شعراء هذه الطائفة ، بحيث نجد التناقض الظاهـر في آثارهم ، فما من شاعر عبّ من الخمر ، وأباح الفاحشة ، وإلاّ وله بصمات من توبة ، ومن زهد ، والحثّ على طاعة الله عز وجل ، والأمر بمحاسن الأخلاق ، وذكر الموت والقبر ، ومن أمثال وحكم وآداب[١] .

٥ ـ الزهد والتصوف

يقول أحمد أمين[٢] :

« . . . وتنصف إن أنت اعتقــدت أنّ الحيـاة كــانت ذات صنوف وألوان ، وأنّ المدنية العباسية كانت ككل المدنيات ، مسجد وحانـة ، وقارىء ، وزامـر ، ومتهجدّ يـرتقب الفجر ، ومصـطبح في الحـدائق ، وسـاهـر في تهجـدّ ، وسـاهـر في طـرب ، وتخمة من غنى ، ومسكنـة من إمـلاق ، وشـكّ في

---

(١) ابن المعتـز : طبقـات الشعـراء ٩١ ـ ٩٢ (أمـالي المـرتضى ١ : ١٠٠) .

(٢) أحمد أمين : ضحى الإسلام ، دار الكتاب العربي ، القاهرة .

دين ، وإيمان في يقين . كل هذا كان في العصـر العبّاسي ، وكل هذا كان كثيراً » .

فقد ذكرنا أنّه بَرَزَ في العصر العباسي ، وبشكل سـافر فئـة غير قليلة من الظرفاء ، والمجان ، والمتزندقين . وانتهج هؤلاء طريقة المجون التي تعتبر خروجاً على قواعد الدين ، ومروقـاً من العقيدة .

وقد اصطحب هذا التيار الماجن تيار آخر سار موازياً له منذ البداية ؛ وهو تيّار الـزهد . وتيّـار الزهـد هذا يُعَـدُّ موغـلاً في القدم ، في نمطه السلوكي الإنساني .

إذ يمكن الرجوع إليه في العصر الجاهلي ، حيث تتحدّث الشواهد عن المصيـر الإنساني ، ومـا يقتضيه من ضـرورة أن يتأمّل الإنسان في الحياة ، ويوجّه سلوكه من منظوره .

فمن ذلك قول الشاعر الجاهلي (عدي بن زيـد العبادي) في قصيدته المشهورة :

أرواحٌ مــودّعٌ أم بــكــورُ   أنت فـانـظر لأي أمـر تصيـر
أيهـا الشـامت المعيّـر بـالـد   هـر أأنت المُبَـرَّأ المــوفـور؟
أم لديك العهد الوثيق من الأ   يام؟ بل أنت جـاهل مغـرور
أين كسرى، كسرى الملوك أنو   شروان، أم أين قبله سابـور؟
وبنـو الأصفــر الملوك، ملو   ك الروم، لم يبق منهمُ مذكور

هذا ونستدلّ على ظاهرة الزهد في العصر الإسلامي منذ عهد النبوّة ، والتماس بعض المأثور من حديث الرسول ﷺ .

ومع التأمّل في هذه الظاهرة ، نجد أنّ الزهد في العصر العباسي قد لازم ظاهرة المجون ، فازداد بازدياده ، وتحول إلى ردّ فعلٍ عليه .

ويُرجع بعض الباحثين أنتشار الزهد إلى تشجيع الدولة العباسية ، فالدكتور شكري فيصل يشير إلى ذلك ، فيقول :

« ولا نزاع في أن الدولة العباسية ، حين أخذت بحماية الإسلام ومطاردة الزنادقة ، كانت تشجّع في الواقع هذا الشعر الديني ، وتحثّ الشعراء عليه . ولعلّ عمل المهدي مع الزنادقة هو الذي شقق الجو الاجتماعي لشعر أبي العتاهية[1] » .

هذا ولا يفوتنا أنّ الزهد قد ارتبط ارتباطاً مباشراً بالأوضاع الاجتماعية ، والاقتصادية ، كما ارتبط بهما الإلحاد والزندقة والمجون ؛ بحيث استوعبت بغداد وتحت مظلة واحدة جميع المتناقضات .

فالالحاد والزندقة قد شاعا في طبقة محدودة من الناس كان

---

(١) شكري فيصل : أبو العتاهية ، أشعاره وأخباره ، مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٥ م .

جمهورها من الفرس ، وكانت موجة المجون أكثر حدة ، ولكنها لم تكن عامة في المجتمع ، بل كانت خاصة بالمترفين ومن حولهم من الشعراء والمغنين .

وإذا كانت حانات الكرخ ودور النخاسة قد اكتظت بالجواري والإماء والقيان والمغنين ، فإن مساجد بغداد كانت عامرة بالعُبَّاد والنسَّاك وأهل التقوى والصلاح ، وكان في كل ركن منها حلقة لواعظ يذكّر بالله واليوم الآخر وما ينتظر الصالحين من النعيم المقيم والعاصين من العذاب والجحيم .

وكان من الوعّاظ من يقتحم قصر الخلافة ليعظ الخلفاء على نحو ما هو معروف من عمرو بن عبيد في وعظه للمنصور[1] .

وصالح بن عبد الجليل في وعظه للمهدي[2] . وابن السماك في وعظه لهرون الرشيد[3] . وقد كثر قصاص الوعظ الذين كانوا يدفعون الناس إلى العبادة ورفض المتاع الدنيوي وسلوك السبيل الواضحة إلى نعيم الآخرة كثرة مفرطة[4] . وكان بجانب هؤلاء القُصّاص الواعظين كثير من النساك ، ومن الصعب استقصاؤهم إذ كانوا منتشرين في كل الأمصار ، وكانوا

---

(١) العقد الفريد : ابن عبد ربه ٣/١٦٤ .
(٢) العقد الفريد : ٣/١٥٨ .
(٣) تاريخ الطبري : ٦/٥٣٨ ـ العقد الفريد : ٣/١٦٤ .
(٤) القصاص لابن الجوزي ص ١٨ .

يحيون حياة زهد خالصة كلّها تبتل وعبادة وتقشّف وانقباض عن الاستمتاع بالحياة وملذاتها وانصراف عن كل نعيم فيها انتظاراً لما عند الله من النعيم السرمدي الذي لا يزول[1] .

ومن مشاهير هؤلاء : سفيان الثوري المتوفى سنة ١٦١ هـ وداود الطائي المتوفى سنة ١٦٥ هـ وعبد الله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١ هـ والفضيل بن عياض المتوفي عام ١٨٧ هـ[2] وكذلك عبد الواحد بن زيد المتوفى سنة ١٧٧ هـ وهو الذي أنشأ أول رباط أو صومعة للناسكين في عبّادان بالقرب من الكوفة ، وفيهم وفي رباطهم يقول أبو العتاهية[3] .

سقى اللّهُ عبّادانَ غيثاً مُجَلِّلا،
فإنّ لها فضلاً جديداً، وأوّلا
وثبّت مَنْ فيها مُقيماً، مُرابِطاً،
فما إنْ أرى عنها لَهُ مُتَحوَّلا
إذا جِئْتَها لم تلْقَ إلا مُكَبِّراً
تخلّى عَنِ الدّنْيا، وإلاّ مُهَلِّلا
فأكرمْ بمن فيها، على اللّهِ، نازلاً،
وأكرِمْ بعبّادانَ داراً، ومنزِلا

---

(١) الدكتور شوقي ضيف : العصر العباسي الأول . دار المعارف بمصر صفحة ٨٥ .

(٢) عيون الأخبار : ٢/٣١٥ وكذلك النجوم الزاهرة ٢/١٥٨ .

(٣) ديوان أبي العتاهية : ٣٥٣ ـ دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٨٠ م .

وفي هذا العصر أقيمت رباطات أخرى في أنحاء العالم الإسلامي ، وكانت الدولة هي التي تقيمها أحياناً ، ففي أخبار الفضل بن يحيى البرمكي أنه شخص إلى خراسان في سنة ثمان وسبعين ومائة ، فبنى المساجد والرباطات[1] .

ومما يدل على أنتشار موجة النسك حينئذٍ أنه أخذت تنبثق بين النُّسَّاك مقدمات نزعة التصوف متمثلة في شيوخ كثيرين ، في مقدمتهم إبراهيم بن أدهم البلخيّ المتوفى سنة ١٦٠ هـ ورابعة العدوية المتوفاة في البصرة سنة ١٨٠ هـ . ومعروف الكرخي من أهل كرخ بغداد المتوفى سنة ٢٠٠ هـ[2] .

وينبغي أن لا نبالغ فنزعم أن التصوّف نضج في هذا العصر ، وإنماأخذت مقدماته في البروز والظهور ، أما تكونه التام فقد حدث في العصر التالي ، أما في هذا العصر فقد تفتحت تباشيره الأولى[3] .

وهكذا تمحور الزهد في الابتعاد عن طيّبات وملّذات الحياة ، والاكتفاء بما يقيم الأود ، ويستر البدن ، والانزواء عن صخب الدنيا ، والأنصراف إلى عبادة الله .

وأبو العتاهية في شعره خير من يمثّل هذه الطائفة من المجتمع الإسلامي في العصر العباسي الأول .

(١) الجهشياري ص ١٩٠ وما بعدها .
(٢) النجوم الزاهرة ٢ /١٦٧ .
(٣) الدكتور شوقي ضيف : العصر العباسي الأول ص ٨٦ .

٢ ـ أبو العتاهية

(١٣٠ هـ ـ ٢١٢ هـ ٧٤٨ م ـ ٨٢٨ م)

أ ـ نشأته .

ب ـ اتصال أبي العتاهية بالخلفاء .

ج ـ مذهبه .

أ ـ أبـو العتاهيـة كنية غلبت عليـه ، واسمه إسمـاعيـل بن القاسم بن سويد بن كيسان مولى عنزة ، كنيتـه أبو إسحـاق ، وأمّه أم زيد بنت زيـاد المحاربي مـولى بني زهرة . أمّـا سبب تكنيته بأبي العتاهية ففيه قولان : أحدهما أنّ الخليفة المهدي قال له يوماً : « أنت إنسان مُتَحَذلِقٌ مُعَتَّه[1] » فاستوت من ذلك كنية غلبت عليه دون اسمه ، وسارت له بين الناس .

والقول الثاني لمحمد بن يحيـى قال : « كني بأبي العتاهية إذ كان يحبُ الشهرة والمجون والتعتّه » .

---

(١) المتحـذلق : المتكيس المتـطرف . المعتّـه : من كـان فيـه جنـون واضطراب في العقل . ويقال للرجل المتعتّه عتاهية .

وليس من الغريب أن تستوي له هذه الكنية ، فقد كـان في شبابه يعاشر الخلعاء ، ويحمل زاملة المخنّثين[1] .

ويظهر من صفته أنّه كان إلى الأنوثة أميل منه إلى الرجولة ، فقـد كان « قضيفـاً[2] أبيض اللون ، أسود الشعـر ، لـه وفـرة جعدة[3] وهيئة[4] حسنة ولباقة » .

وكان في أوّل أمره يبيع الجرار الخضر ، يحملها في قفص على ظهره ، ويدور في الكوفة ، وقيل : « بل كان يفعل ذلك أخوه زيد » وسئل بذلك فقال : « أنا جرّار القوافي وأخي جرّار التجارة » . على أن عبد الحميد بن سريع ، مولى بني عجل ، يقـول : « أنا رأيت أبـا العتاهيـة ، وهو جـرّار يأتيـه الأحداث والمتأدبون فينشدهم أشعاره . فيأخذون مـا تكسر من الخـزف فيكتبونها فيها »[5] .

ولكن نفسـه الميّالـة إلى الشعر جعلتـه يتـرك هـذه المهنـة

---

(١) زاملة : عدل يضع فيه الحاج زاده ويحمله على عاتقه . المخنّث : من كان فيه لين وتأنث .

(٢) القضيف : الـدقيق العظم القليـل اللحم (أبو الفـرج الأصبهاني : الأغاني ج ٤) .

(٣) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس . أو ما سال على الأذنين ، أو ما جاوز شحمة الأذن .

(٤) الجعدة : التي فيها التواء وتقبض .

(٥) ابن قتيبة : الشعر والشعراء (ج ٢) . ص : ٦٧٥ .

ويزاول الشعر ، فانطبع عليه ، حتى صار فيه كما قال عن نفسه : « لو شئت أن أجعل كلامي كلّه شعراً لفعلت » . وربما لم يغال في كلامه هذا ، فقد روي أنّه : « كان حلو الإنشاد ، مليح الحركات ، شديد الطرب ، أقدر الناس على وزن الكلام ، حتى أنه كان يتكلم بالشعر في جميع حالاته ، ويخاطب به جميع الناس »[1] . ويظهر من قول الأغاني أنه كان : « غزير البحر . لطيف المعاني ، سهل الألفاظ ، كثير الأفتنان ، قليل التكلف إلا أنه مع ذلك كثير الساقط المرذول »[2] .

وهذا الحكم عليه من قبل صاحب الأغاني يؤيده الأصمعي ، فيقول : « شعر أبي العتاهية كساحة الملوك يقع فيه الجوهر والذهب والقراب والخزف والنوى »[3] .

أمّا سلم الخاسر والفراء ، فيقولان : « إنّه أشعر الإنس والجن » ويؤيد كلامهما مصعب بن عبد الله ، فيقول : « هو أشعر الناس » .

كذلك يورد ابن الأعرابي رأيه في أبي العتاهية قائلاً : لم أَرَ

---

(١) المصدر نفسه ، ص : ٦٧٦ .
(٢) أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني ج ١٢٦/٤ .
(٣) الأصمعي : فحولة الشعراء ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧١ م .

شاعراً قطّ أطبع ولا أقدر على بيت منه ، وما أحسب مذهبه إلّا ضرباً من السحر » .

وكان يُقال : « أطبع الناس ثلاثة : بشّار والسيّد الحِمْيَري وأبو العتاهية ، وما قدر أحد على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرته »[1] .

ب ـ اتصال أبي العتاهية بالخلفاء :

في كل عصر من عصور التاريخ ، وفي كل قطر من أقطار الأرض ، ينشأ مجريان متطرفان في حياة المجتمع البشري ؛ الأول مجرى العبث والخلاعة ، والمجرى الثاني الحرص والتقشف .

في الأول يكثر المسترسلون في الموبقات والشهوات والأهواء ، وفي الثاني نرى الذين عافت نفوسهم ملذّات الحياة ، فانكبّوا عنها إلى زوايا الزهد ، ينعون إلى الناس زخارفها ، ويدعونهم إلى نبذها .

وإذا كان يطغى على أبي نواس مجرى حياة اللهو والمجون ، ويعكس لنا حياة العابثين ، فإنّ أبا العتاهية يمثّل المجرى الآخر ويعكس لنا عواصف المتطرفين من الروحيين والأخلاقيين .

(١) أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني ٤/٣ .

نشأ أبو العتاهية في الكوفة ، ولما نضجت صناعة الشعر فيه قصد بغداد واتّصل ببلاط العباسيين ومدح المهدي ونال جوائزه . واتّفق أن عرف أبو العتاهية (عتبة) جارية المهدي ، فأولع بها وطفق يذكرها بشعره ، فغضب المهدي وسجنه ، ولكن الشاعر استعطفه بأبيات ، فرقّ له الخليفة وخلى سبيله .

ثمّ اتّصل بموسى الهادي ، بعد المهدي ، ومدحه ونال عطاءه ، ثم بالرشيد بعد الهادي ، فنادمه ، ولكنه ما لبث أن ترك منادمته ، وعدل عن قول الشعر في الغزل وما شابه ، واتجه إلى التصوّف . فكسر جرار الخمر ، وتزهّد ، وأخذ يذكر الموت وأهواله ، فحبسه الرشيد ، ثم أطلق سراحه ، فعاد ثانية إلى الشعر بعد أن ترك الغزل ، والهجاء ، حتى مات في خلافة المأمون .

ج ـ مذهب أبي العتاهية

جاء عن الأغاني أنّ أبا العتاهية كان يقول بالوعيد وبتحريم المكاسب ، ويتشيّع بمذهب الزيدية البترية المبتدعة ، لا يتنقّص أحداً ولا يرى مع ذلك الخروج على السلطان . وكان مجبراً[1] .

---

(١) الأغاني : ٤/٨ الزيدية : فرقة تنسب إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ولد سنة ٧٩ هـ وتوفي سنة ١٢٢ هـ) . وهذه الفرقة تقصر الإمامة على أولاد فاطمة ولا تجيزها =

وعن ابن قتيبة في الشعر والشعراء جاء : « كان أبو العتاهية طليق التفكير ، وكان أهل زمانه ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممّن لا يؤمن بالبعث ، ويحتجون بأن شعره إنّما هو في ذكر الموت والفناء ، دون ذكر النشور والمعاد[1] .

وعن الصّوليّ ، قال : حدّثني يموت بن المزرِّع قال حدّثني الجاحظ قال : قال أبو العتاهية لثمامة بين يدي المأمون ـ وكان كثيراً ما يعارضه بقوله في الإجبار ـ : أسألك عن مسألة . فقال له المأمون : عليك بشعرك . فقال : إنْ رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في مسألته ويأمره بإجابتي ! فقال له : أجبه إذا سألك . فقال : أنا أقول : إنّ كلّ ما فعله العباد من خيرٍ وشرّ فهو من الله ، وأنت تأبى ذلك ، فمن حرّك يدي هذه ؟ وجعل أبو العتاهية يحرّكها . فقال له ثُمامة : حرّكها مَنْ أمّه زانية . فقال : شتمني والله يا أمير المؤمنين . فقال ثمامةُ : ناقض الماصّ بظْر أمّه والله يا أمير المؤمنين ! فضحك المأمون وقال له : ألم أقل لك أن تشتغل بشعرك وتدع ما ليس من عملك ! قال ثُمامة : فلقيني بعد ذلك فقال لي : يا أبا معن ، أما اغناك

= في غيرهم ، البترية : فرقة من الزيدية تنسب إلى كثير النوى الأبتر ، وأصحاب هذه الفرقة يفضلون علياً على جميع الناس بعد رسول الله ﷺ ـ مجبر : من الجبرية : مذهب من يرى أن كل ما يحدث للإنسان قد قدّر عليه أزلاً ، فهو مسيّر لا مخير .

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ص : ٦٧٥ .

الجواب عن السّفه ؟ فقلت : إنّ من أتمّ الكلام ما قطع الحجة ، وعاقب على الاساءة ، وشفى من الغيظ ، وانتصرمن الجاهل[1] .

وعن محمد بن يحيى وحدّثني عون بن محمد الكندي قال :

سمعت العباس بن رستم يقول : كان أبو العتاهية مذبذباً في مذهبه يعتقد شيئاً ، فإذا سمع طاعنا عليه ترك اعتقاده إيّاه وأخذ غيره[2] .

وجاء في كتاب الأغاني أنّ الصّولي قال حدّثنا محمد بن موسى عن أحمد بن حرب قال :

« كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد ، وأنّ الله خلق جوهرين متضادين لا من شيء ، ثم إنه بنى العالم هذه البنية منهما ، وأن العالم حديث العين والصنعة لا مُحدث له إلا

(١) الجاحظ (١٦٣ ـ ٢٥٥ هـ) هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء ، أبوعثمان ، الشهير بالجاحظ : كبير أئمة الأدب ، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة . مولده ووفاته في البصرة . فلج في آخر عمره . وكانمشوه الخلقة . مات والكتاب على صدره . قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه . له تصانيف كثيرة : (الاعلام ج ٥ ص ٧٤٠) . (يا ماص بظر أمّه أو يا عاض بظر أمّه : سبة درج على ترداها العرب .

(٢) الأغاني ٤/ ٩ .

الله ، وكان يزعم أنّ الله سيردّ كلّ شيء إلى الجوهرين المتضادين قبل أن تفنى الأعيان جميعاً . وكان يذهب إلى أن المعارف واقعة بقدر الفكر والاستدلال والبحث طباعاً[1] .

ولكن ما هما هذان الجوهران ، أهما النفس والمادة ، أم هما الخير والشر ، أم النور والظلمة ، هذا ما لم نجد له تعريفاً .

أما المؤرخون فقد اجمعوا على أنّ أبا العتاهية كان في أوّل أمره يعيش كسائر شعراء عصره ، فيمدح ، ويرثي ، ويتغزّل ، وقد ذكرنا ذلك في مختاراتنا الشعريةَ له .

ولكنه لم يكد يبلغ الخمسين حتى تحوّل عن هذا الفنّ الشعري ، والتزم طريقة الزهد ، والتنسّك ، وأحبّ أن ينفرد عن زملائه ، وأن يندفع إلى ممارسة الزهد شعراً وعملاً وبشوقٍ عميق . وإنّا لنلمح ذلك مما نقله ابن منظور عن أبي مخلد الطائي قال :

« جاءني أبو العتاهية فقال لي : إنَّ أبا نواس لا يخالفك ، وقد أحببت أن تسأله ألاّ يقول في الزهد شيئاً ، فإني قد تركت له المديح والهجاء والخمر والرقيق وما فيه الشعراء ، وللزهد شوقي . فبعثت إلى أبي نواس فجاء إليّ وأخذنا في شأننا .

---

(١) الأغاني ٤/٧ وما بعدها .

فقلت لأبي نواس : أنّ أبا إسحاق (أبا العتاهية) من قد عرفت جلالته وتقدمه ، وقد أحب أنك لا تقول في الزهد شيئاً . فوجم أبو نواس عند ذلك وقال : يا أبا مخلد قد قطعت عليّ ما كنت أحب أن أبلغه من هذا . . . ولا أخالف أبا إسحاق فيما رغب إليه »[1] .

أمّا المحرّك المباشر الذي حرّك نفس أبي العتاهية وحبّب إليه ترك حياته الأولى ؛ فيرجعه البعض إلى فشله في حبّه لعتبة جارية الخيزران أمّ الرشيد . ففي ذلك يقول أبو العلاء المعري في لزومياته مشيراً إلى أبي العتاهية :

الله ينقل من شا ء رتبةً بعد رتبه
أبدى العتاهيّ نسكاً وتاب عن حبّ عتبه

أما المسعودي فيذكر أنّ أبا العتاهية لبس الصوف ليأسه من عتبة . وكان ذلك أيام الرشيد ، وقد آثر السجن على أن لا يرجع بعدها إلى قول الغزل .

وإذا ما تحرّينا الحكايات الكثيرة التي ينقلها معاصروه عنه ، نجد الشكّ بصدق تزهده ، وهذا الشكّ مبني عندهم على سيرته الأولى التي ذكرناها ، وعلى حرصه في جمع المال[2] .

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج ٢ ص : ٦٧٧ .
(٢) الخطيب البغداد : تاريخ بغداد ٦/٢٥ .

أبو العتاهية شاعر مجدّد

شهد القرن الثاني الهجري تطوراً في أسلوب الشعر وذلك يتمثّل في شيوع السهولة وإيثار البساطة ، والتحلّل من قيود الصنعة الفنيّة في أسلوب الشعر .

وليست السهولة في أسلوب الشعر بالأمر الغريب الذي لم يعهده الشعر العربي من قبل ، بل إنّ له في ماضي هذا الشعر سابقة تشابهت في بعض ظروفها بما حدث في هذه الحقبة التي نحن بصدد الكلام عليها[1] .

فقد كان عمر بن أبي ربيعة ـ وهو الذي سلك في غزله طريق القصص أن يلجأ إلى أسلوب رخو ليّن الاعطاف تتمشّى أنوثة المرأة في ثناياه .

وأبو العتاهية كان في أوّل أمره يتخنّث ويحمل زاملة المخنّثين كما ورد معنا ، ثم أخذ يبث حبّه لِعتبة وهيَامه في شعر لين الأسلوب سهل العبارة ، يكاد يبلغ في سهولته وفي

(۱) أحمد عبد الستار الجواري : الشعر في بغداد ، ص : ۲۹۱ .

لينه مبلغ العامية ، ويخرج عن المألوف في أساليب الشعراء[1] .

ولكن ثمة مظهراً آخر من مظاهر السهولة في الأسلوب كان أبو العتاهية فيه مجدّداً لم يسبقه إلى التجديد أحد ، وكان يشركه في ذلك جماعة من معاصريه من الشعراء نهجوا سبيله ، واتبعوا مذهبه .

فأبو العتاهية ذلّل أسلوب الشعر للمعاني العقلية والأفكار الفلسفَية ، بحيث جعل موضوع شعره الأول ؛ الحكمة والزهد في الدنيا والدعوة إلى التنسّك .

وهكذا ظهرت النزعة الشعبية عند شاعرنا في مضمون شعره وشكله على السواء . فقد ابتعد عن الأسلوب العربي الفصيح الذي عرفناه في الشعر الجاهلي القديم من غريب اللفظ ، وجزالة الأسلوب .

وأبو العتاهية نفسه يقول : « إنّ الزهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رواة الشعر ، ولا طلاب الغريب »[1] .

وتّتضح لغةُ شعر أبي العتاهية المولّدة في ديوان شعره كلّه ، وفي جميع موضوعاته التي خاض فيها ؛ وما أقلّها إلى جانب موضوع الزهد عنده .

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣/٢٤١ .

(٢) الأغاني ٤/٧٠ .

ولمّا كان الزهد الذي يتضمّن الموعظة الحسنة ، والتذكير بالأمم السالفة ، وبالموت ، وبتفاهة الحياة الدنيا ، وما إلى ذلك ـ من أقرب الموضوعات وأحبّها إلى نفوس الجماهير وبالأخص الفقيرة منها ، لهذا كان من العبث أنْ يُصاغَ هذا الفن في اللغة الشعرية القديمة ذات الألفاظ الغريبة الجزلة ، والعبارات الرنّانة الخطابية ، وطُرُق التعبير التي أصبحت غريبة على الناس .

وكان من الضروري اختيار عناصر لغة الشعر الزهدي من لغة الحياة اليومية ليفهمها النّاسُ فهماً مباشراً ، ويتأثّروا بمعانيها فتحدث الاستجابة المطلوبة .

وكان أبو العتاهية نفسه مدركاً تماماً لهذه الفكرة فهو يقول : « الشعر ينبغي أن يكون مثل أشعار الفحول المتقدّمين أو مثل شعر بشار بن برد ، وابن هرمة ، فإن لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه مما لا تخفى على جمهور الناس مثل شعري ولا سيما الأشعار التي في الزهد ، فإن الزهد ليس من مذاهب الملوك »[1] .

وأبو العتاهية يوضح لنا في هذه العبارة تطور لغة الشعر بصورة عامّة ، فالشعر كما يظهر عنده ثلاثة أنواع :

١ ـ شعر فحل قاله المتقدّمون .

---

(١) الأغاني : ٤/٧٠ ـ ٧١ .

٢ ـ شعر وسط كان يتردّد بين الفحولة والشعبية كشعر بشار ، وابن هرمة ، وأضرابهما .

٣ ـ شعر شعبي يبتعد عن الفحولة تماماً كشعره هو نفسه ، وخاصة لأنه اختار الزهد موضوعاً لهذا الشعر ، وهو ليس محل إعجاب الملوك من ناحية موضوعه ، وما فيه من تذكير بالموت ، وتفاهة الحياة الدنيا ، وقيمة العمل الصالح ، والورع والتّقوى إلى غير ذلك ، كما أنّه ليس محل إعجاب الرواة الذين لا يبغون له الذيوع والانتشار بين الناس لسهولته وفهم الناس له لمشاكلته للغتهم وحياتهم ، وهذا يفسد عليهم صناعتهم كرواة للشعر الفحل القديم يتكسبون بهذه الرواية . وأخيراً فهذا الشعر الشعبي ليس محل إعجاب علماء اللغة ؛ لأن كل ما يطلبونه من الشعر ليس جمال مبناه ، ولا معناه ، ولكن ما به من الغريب الشاذ الذي لم تلتقطه أسماعهم من أفواه الأعراب الضاربين في البوادي(١) .

وهكذا تطورت لغة الشعر في القرن الثاني الهجري تطوراً بيّناً ظهر أثره في مادتها اللغوية ، وطرق تعبيرها بإدخال ألفاظٍ وأمثالٍ تتردّد بين عامّة الناس ، كما ظهر أثره في هجر الألفاظ الجزلة القديمة ، والبعد عن الحوشي الغريب ما أمكن ،

---

(١) محمد مصطفى هدارة : الاتجاهات الجديدة في الشعر العباسي ، ص : ٥٩٤ وما بعدها .

واستخدام ألفاظ رقيقة سهلة .

ليس هذا فحسب بل تطوّر الأمر عند أبي العتاهية إلى حد اختيار ألفاظ ، وتعبيرات من لغة التخاطب العادية في الحياة اليومية ، فمالت لغة الشعر عنده في الزهد إلى النّاحية الشعبية ، كما تطوّرت من ناحية أخرى بالنزوع إلى لغة النثر العادية إمعاناً في السهولة والوضوح والبعد عن التراكيب اللغوية المعقّدة وما فيها من تقديم ، وتأخير ، وحذف ، وزيادة ، وما إلى ذلك .

وهكذا تطوّر عنصران من عناصر الشكل في شعره ، هما الأوزان ولغة الشعر .

فالأوزان القصيرة التي شاعت في العصر العباسي الأوّل ، والتي ذكرناها آنفاً ، ارتأى أبو العتاهية في محاولاته بالخروج على الأوزان التقليدية المعروفة ، فيذكر ابن قتيبة عنه أنّه : (كان لسرعته وسهولة الشعر عليه ، ربّما قال شعراً موزوناً يخرج به عن أعاريض الشعر وأوزان العرب)[١] ويضرب مثالاً لذلك بالشعر الذي قاله حينما كان يجلس عند قصّاب فسمع صوت المدقة ، فأراد أن يحاكيه في شعره ، فقال :

للمنون دائرات يُدِرْنَ صَرْفَها

هنّ ينتقيننا واحداً فواحدا

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص : ٧٦٥ .

والحقيقة أنّ هذا الوزن لا يخرج عن الدوائر الخمس التقليدية التي اخترعها الخليل بن أحمد ، فهذا الوزن يمكن أن يكون من المقتضب ، ولكن الجدير بالذكر هو تحرّر أبي العتاهية من القافية في هذا المثال تحرّراً كاملاً .

وأبو العتاهية قد يخرج أيضاً على الأوزان المعروفة ، ولكن في حدود الدوائر الخمس ، كما في قصيدته الأخرى ووزنها فاعلاتن فعولن التي يقول فيها :

عتب ما للخيال خبّريني ومالي
لا أراه أتاني زائراً مُذْ ليال
لو رآني صديقي رقّ لي أو رثى لي
أو يراني عدوّي لاَنَ من سوء حالي

وكان أبو العتاهية يدرك أنّه بمثل هذه الأوزان يخرج على البحور التقليدية ، فقد ذكر ابنه محمد أنَّ أباه سُئل : هل تعرف العروض ؟ فقال : أنا أكبر من العروض[1] .

وبالنتيجة كان من تحضّر خيال أبي العتاهية أن أهمل تشابيه كثيرة للقدماء مجّها ذوقه الحضري ، فصاغ كلام الناس شعراً فيه من البساطة ، والسهولة ، والذوق الجديد ما يسمو إلى حرية الفن الخالص ، والتعبير الحرّ وطرائقه ، وما يبتكر فيه من

---

(١) الأغاني : ٤/١٦ .

الصور والمعاني ، وأداء خاص يلتزم به هو ولا يلزمه إيّاه أحد غيره . فقد حكي أنّ الرشيد أمر أبا العتاهية بعد موت الهادي أن ينشده غزلاً ، فأعرض الشاعر ، فحبسه الرشيد . وصادف أن غنّته جارية بيتاً واحداً ، فقال ما أحوجه إلى بيت ثان ليطول الغناء ، فأشار إلى جعفر البرمكي بأبي العتاهية فكتب إليه بالقصة وقال : ألحق لنا بالبيت بيتاً ثانياً .

فكتب إليه أبو العتاهية :

شُغِلَ المسكينُ عن تلكَ المحَنْ
فارَقَ الرّوح، وأخلى مِنْ بَدَنْ
ولقد كُلِّفْتُ أمراً عجباً،
أسألُ التّفريحَ مِنْ بيتِ الحزَن[1]

وكان هذا الأمر بعد أن تزهّد أبو العتاهية ، ولبس الصوف ، وترك المحرّمات ، والتزم الصدق الفني رغم معاناة السجن والتعذيب .

---

(١) ديوان أبي العتاهية ، ص : ٤٥٦ .

العوامل المؤثرة في زُهد أبي العتاهية

لقد ظهر في العصر العباسي الأول (القرن الثاني الهجري) شعر جديد في أغراضه وموضوعاته ؛ هو شعر الزهد والحكمة .

ويجيء أبو العتاهية كأحد أعلام هذا النوع من الشعر .

وإذا ما تتبعنا الشعر العربي قبل هذه المرحلة فإنّنا نجد خطوات غير قليلة في الحكمة ، وفي فلسفة الحياة ومآلها ، وفي النصح والموعظة والإرشاد ، بحيث كانت هذه المعاني تشيع في ثنايا القصائد عند بعض الشعراء ، وفي معلّقة زهير بن أبي سلمى ، ولا سيّما حديثه عن السلم وذم الحرب وإسداء النصيحة لقومه بالكفّ عن الحرب ، ونبذ الخصومة والتشاحن ، إلى غير ذلك من التجارب الإنسانية والموعظة الحسنة .

وبعد الإسلام لم نكد نشهد في الشعراء مَنْ تناول هذا الموضوع في شعره مثلما فعل زهير بن أبي سلمى ، ويرجع الأمر إلى أنّ القرآن الكريم وأساليبه المعجزة ، وحديث

الرسول وما فيه من روائع الحكم ، وجوامع الكلم ـ هو الذي منع الشعراء أن يخوضوا في هذا الموضوع ، وأن يطرقوا هذه المعاني . هذا إذا ما استثنينا أمية بن أبي الصلت الثقفي ، والذي نعتبره متفرّداً بين معاصريه في الحكم ، والمواعظ ، والمعاني الدينية .

أما في أواخر العصر الأموي فقد شهدنا طائفة من الناس تنصرف إلى وعظ الناس، وإرشادهم، وتقص عليهم القصص التي ترمي من ورائها إلى الحض على التمسك بالدين ، وبثّ الفضيلة ، ونشر مكارم الأخلاق ، وهي طائفة الوعّاظ والقصّاص . وكان أبرز رجالها في البصرة ، عالمها ومرشدها حسن البصري[١] .

أما الشعر الذي أخرجه أبو العتاهية في الزهد ، فإنّه كان موضع إعجاب الناس به ، بحيث قدّمه معاصروه أو أغلبهم وفضلوه كشاعر متقدّم ومجدّد في هذا الباب .

وكان أبو العتاهية يصدر في شعره هذا عن موردين اثنين :

أ ـ المورد الأول ما أصابه في الفلسفة ، والحكمة من ثقافة وما حصّله فيها من أفكار . فهو قد أخذ من الفلسفة بنصيب

---

(١) أحمد عبد الستار الجواري : الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري ص ٢٤٩ .

وافر ، واطّلع على طرف منها ، وكان لـه مذهب في العقيـدة وفي الفلسفة يدين به ، ويذهب إليه .

فخلال رثائه لصديقه علي بن ثابت ، يقول :

وكـانـت في حيـاتـك لـي عـظاتٌ
وأنـت اليـومَ أوعظُ مـنـك حـيـا

يقال أنه قد استقاه من رثاء الفلاسفة للإسكندر .

ولعلّ ثقافة أبي العتاهية في الفلسفة هي التي دعته إلى أن يأخذ في مذهب جديد في الشعر ، وأن يكـون هذا المـذهب حكمة تسير على الألسن ، وتصادف في نفوس الناس قبولاً ، وموافقة . ويشير أحمد عبد الستار الجواري إلى أنّ أبا العتاهية عجز أن يقوم في الشعر المألوف مقام الفحول من معاصريه ، فخرج على الناس بهذا الجديد[١] .

أما المورد اليوناني الذي ألمَّ به الشاعر فيرجع إلى تقليده الشاعر (هزيود) ـ (Hosiod) واتباع سبيله[٢] .

ب ـ ويتجلّى المورد الثاني في القرآن الكريم والـذي كان مصدراً للشاعر في زهده ، وحكمته . وهذه الظاهرة في أدب أبي العتـاهية تستحق التأمّل والتفكيـر ، فهو يُـرمَى من بعض

---

(١) أحمد عبد الستار الجواري : الشعر في بغداد .

(٢) السابق .

مؤرّخيه ؛ بأنه كان يعتنق رغم هذا الزندقة[1] . فموقف أبي العتاهية من القرآن ، ليس برأي بعض المؤرخين موقف المسلم المؤمن الصّادق ، بل هو موقف ينمّ على التحدّي والتكابر بحيث ينازله الشاعر ، ويقلّده ، ويزعم أنّه يأتي بمثله ، أو بأحسن منه .

فعن رجاء بن سلمة رواه صاحب الأغاني أنه قال : « سمعت أبا العتاهية يقول : قرأت البارحة « عمّ يتساءلون » ثم قلت قصيدة أحسن منها »[2] .

وهذا إن صحّ عنه يدل على أنّه كان يتطلّع بشعره في الحكمة ، والأخلاق ، إلى منزلة القرآن الكريم في نفوس المسلمين والمؤمنين ، وهو في هذا يُعَدُّ خلفاً للشاعر أمية بن أبي الصلت الذي كان يحقد على الرسول ، وعلى دينه ، فيحاول أن يصرف الناس عن كتابه بما في شعره من المعاني الدينية[3] . وإننا نزعم بأنَّ كلاً من الأمرين مبالغ فيهما ـ لِمَا في القرآن الكريم من البيان والبلاغة والبديع ما يعجز الشعراء على الإتيان بمثله ، وبالتالي لن يتجرّأ أحدٌ على مضاهاته أو معارضته وهكذا يمكن القول إنّ أبا العتاهية قد اقتبس بعض معاني القرآن الكريم ، ونظمها شعراً ؛ ليس على سبيل

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص : ٢٠٩ ـ ج ٢ .

(٢) الأغاني : ١٣٧/٣ .

(٣) أحمد عبد الستار الجواري ـ تاريخ بغداد .

المعارضة ، بل استعملها كحجة يدعم بها آراءَهُ في الحياة ، والآخرة ، فيقول :

ليتَ شعري فإنّني لستُ أدري
أيّ يوم يكون آخر عمري
وبأي البلاد يقبض روحي
وبأي البلاد يحفر قبري

وإن كان هذا الشعر مقتبس من الآية الكريمة : ﴿ **وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفس بأيْ أرض تموت** ﴾ فإنّ أبا العتاهية يؤمن بقبض الروح ، والروح مودعة في يد الرحمن تعالى ، ساعة يشاء يقبضها ، وفي أي بلاد يشاء تعالى ، يُحفَر قبر الشاعر .

وقوله في قصيدة أخرى :

وإنّ لِلكُلّ حادِثَةٍ لِوَقْتاً،
وإنَّ لِكُلّ ذي عَمَلٍ حِسَابَا
وإنّ لِكُلّ مُطّلَعٍ لَحَدّاً،
وإنّ لِكُلّ ذي أجَلٍ كِتابَا

ومن ذلك أيضاً قوله :

أَشَدُّ الجِهادِ جِهادُ الهوَى،
وما كَرّمَ المرْءَ إلاّ التُّقَى

وأخـلاقُ ذي الـفـضْـلِ مـعـروفـةٌ
بِـبَـذلِ الـجَـمـيـلِ وكـفّ الأذى

* * * *

وإنّـا لَـفـي صُـنُـعٍ ظـاهـرٍ
يَـدُلّ عـلى صـانـعٍ لا يُـرَى[1]

* * * *

وهنا يقلّد الشاعر كلام رسول الله ﷺ بعد أن رجع من الجهاد فقال : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » وسُئل عن الجهاد الأكبر فقال : « جهاد النفس » . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية اقتبس من كلام الله تعالى : ﴿ **إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ .

فهذا التقليد والاقتباس لا يمتّ إلى صلة الزندقة ، ولا إلى محاكاة القرآن الكريم والرسول ﷺ ، فالشاعر يؤمن بخالق يَرى ولا يُرى ، يُدرِكُ الأبصار ، وخفايا النفوس .

ج ـ أما المعاني التي حام حولها أبو العتاهية فهي لا تخرج عن الترغيب في العمل الصالح ، والحثّ على الزهد في الدُّنيا ، والتذكير بالموت ، والفناء ، والقيامة ، والحساب ، والجزاء ، وعلى الترهيب من يوم الحشر .

---

(١) الصنع : الإحسان .

فلا يمكث وقتاً إلّا ويدعو إلى طاعة الله ، ويصف طبائع الناس ، في الرّخاء ، وفي الشدائد ، في الأمان وفي المِحَن ، فاسمعه يقول :

لَعَمْرُك، ما الدنيا بدارِ بقاءِ؛
كفاك بدارِ الموتِ دارَ فناءِ
فلا تعشَق الدّنيا ، أُخَيَّ، فإنّما
يُرَى عاشِقُ الدّنيا بِجُهْدِ بَلاءِ
حلاوتُها ممزوجَةٌ بِمَرارَةٍ؛
وراحتُها ممزوجَةٌ بعَنَاءِ
فلا تمشِ يوماً في ثيابِ مخيلَةٍ
فإنّكَ من طينٍ، خُلِقتَ، وماءِ[1]
لقلَّ امرُؤٌ تلقاهُ للَّه شاكِراً؛
وقلّ امرُؤٌ يرضى له بقضاءِ
وللّه نعماءُ علينا عظيمةٌ،
ولِلَّهِ إحسانٌ وفضلُ عَطاءِ
وما الدّهرُ يوْماً واحداً في اختلافِه؛
وما كُلّ أيّامِ الفتى بسَوَاءِ

---

(١) المخيلة : الكبرياء .

وما هو إلاّ يومُ بُؤسٍ وشدّةٍ،
ويومُ سُرُورٍ، مَرّةٍ، ورخاءِ[1]

ومن أجمل شعره في ذكر الموت ، وأخفه على النفس ـ قصيدته نخْ على نفسك يا مسكين ؛ فقد أخبر صاحب الأغاني ، فقال حدث الصولي عن أبي صالح العلوي قال : أخبرني أبو العتاهية ، قال : كان الرشيد مما يعجبه غناء الملاحين في الزلالات[2] إذا ركبها وكان يتأذّى بفساد كلامهم ولحنهم ، فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعراً يغنون فيه ، فقيل له : ليس أحد أقدر على هذا من أبي العتاهية ، وهو في الحبس . قال : فوجّه إليّ الرشيد ، قل شعراً حتى أسمعه منهم ، ولم يأمر بإطلاقي ، فغاظني ذلك فقلتُ : والله لأقولن شعراً يحزنه ولا يسرّ به ، فعملت شعراً ودفعته إلى من حفظه من الملاّحين . فلمّا ركب الحراقة وسمعه جعل يبكي وينتحب وكان الرشيد من أغزر النّاس دموعاً في وقت الموعظة ، وأشدّهم عسفاً في وقت الغضب ، والغلظة ، فلمّا رأى الفضل بن الربيع كثرة بكائه ، أومأ إلى الملاحين أن يسكتوا ـ والقصيدة مزوّدة بالمعاني الدينية ، والخلقية ، والحكم والأمثال ، ففيها ، يقول :

---

(١) الرخاء : سعة العيش .

(٢) الزلالات : ضرب من السفن النهرية ـ الأغاني : ج ٤ .

نح على نفسك يا مسكين

خانَكَ الطَّرْفُ الطَّموحُ، أيها القلبُ الجَمُوحُ!
لِدَواعي الخَيرِ والشَّـ ـرِّ دُنُوٌّ، ونُزُوحُ
هَلْ لِمطْلُوبٍ بِذَنْبٍ تَوْبَةٌ منهُ، نَصُوحُ
كيفَ إصلاحُ قُلُوبٍ، إنّما هُنَّ قُرُوحُ
أحسنَ اللَّهُ بِنَا، أنَّ الخطايا لا تَفُوحُ
فإذا المستورُ مِنّا بينَ ثَوْبَيْهِ فُضُوحُ
كم رَأيْنَا مِنْ عَزِيزٍ طُويتْ عنْهُ الكُشوحُ
صاحَ منْهُ برحيلٍ صائحُ الدّهْرِ، الصَّدوحُ
مَوْتُ بعضِ النّاس، في الأرض، على البعضِ فُتوحُ
سيصيرُ المرء، يوماً، جسداً ما فيهِ رُوحُ
بينَ عينَي كُلِّ حيٍّ عَلَمُ المَوْتِ يَلُوحُ
كُلُّنَا في غَفْلَةٍ والـ ـموتُ يَغدو، ويَرُوحُ
نُحْ على نفسِكَ يا مِسكينُ، إنْ كنتَ تَنُوحُ
لَسْتَ بالباقي ولَوْ عُمِّـ ـرْتَ ما عُمِّرَ نُوحُ

والشاعر لا يلبث أن يتصور الموت الذي يثِبُ عليه من كل حَدْبٍ وصَوْب ، فهو لا يدري إذا أمسى حيّاً ، أن يعيش إلى الصباح . ذلك أنّ هاجس الموت يلاحقه فيعشّش في مخيلته لأن ما بعد الموت يجيء النشر والحساب ، فيقول :

أؤمّلُ أن أُخلَّدَ، والمنايا
يَثِبْنَ عليَّ مِن كل النّواحي
وما أدري إذا أمسيتُ حيّاً،
لعلّي لا أعيشُ إلى الصّبَاحِ

ويقول أيضاً :

فلو كانَ هوْل الموتِ لا شيءَ بعدَه،
لَهَانَ علينا الأمرُ، واحتُقِرَ الأمْرُ
ولكنّهُ حشْرٌ، ونشْرٌ، وجَنّةٌ،
ونارٌ، وما قَدْ يستطيلُ به الخبرُ[1]

* * * *

وأبو العتاهية يكثر من حديث الحكم والأمثال والعِبَر ، فيقول :

عُمرُ الفتى ذكرُهُ، لا طولُ مُدّتِهِ،
وَمَوْتُهُ خِزْيَةُ، لا يَوْمُهُ الدّاني
فأَحْيِ ذِكْرَكَ بالإحْسانِ تَفْعَلُهُ،
يكُنْ كذلكَ، في الدّنيا، حيَاتانِ

---

(١) الحشر : البعث والمعاد . النشر : القيامة .

وأبو العتاهية يتميّز في باب الزهد عمّن سبقه في هذا المضمار ؛ فزاد في معانيه زيادة بشار بن برد ، وأبي نواس في شعر الخمر والمجون .

فقد ذكر أحمد أمين عن الشاعر : أنه فلسف الزهد ، وملأ الأدب العربي ـ في عصره ـ بالموت والتخويف منه ومما بعده ، واحتقار اللذة ، والجد في الهرب منها[1] .

وقال المبرِّد : « كان يخرج القولُ منه كمخرج النفس قوة وسهولة واقتداراً »[2] .

أما أحمد أمين فيرجع حركة الزهد إلى أمورٍ أهمها :

١ ـ ترجع حركة الزهد إلى أنّ قوماً يئسوا من الغنى ، ورأوا أن نفوسهم لا تطاوعهم للقرب من ذوي الجاه ، أو حاولوا ذلك ففشلوا ، فلجؤا إلى القناعة يروضون أنفسهم عليها ، وقالوا : إذا لم يكن ما تريد فأرِدْ ما يكون !

٢ ـ وأنّ قوماً عافت نفوسهم ما رأت من شهوات لا حدّ لها ، ورأوا أن النفس إذا نالت ما طمحت تفتّحت أمامها شهوات وشهوات ، وللوصول إلى كلّ شهوة متاعب وعقبات ، ففضلوا أن يقمعوها ، وقالوا مع القائل :

---

(١) أحمد أمين : ضحى الإسلام .

(٢) المبرّد : الكامل .

ـ ومـا النفسُ إلاَّ حيثُ يجعلها الفتى
فـإن أُهمِلَت تـاقَتْ وإلاَّ استـقـرتِ

أو مع الآخر :

والـنـفس راغـبـةٌ إذا رغَّبْـتَـهـا
وإذا تُـرَدُّ إلـى قـليـل تَـقـنَـعُ

٣ ـ وقوماً يئسوا من حبٍّ ، أو صُدموا صدمة عنيفة في منصب أو جاهٍ أو مالٍ ؛ فلم يجدوا إلا الزهد يركنون إليه ويأنسون به ، ويتسلّون به عمّا فقدوا[١] . هذا من جهة ، أمّا العوامل الخارجية من دين ، وسياسة ، وفكر ، فكان لها سبب مباشر من جهة ثانية في حركة الزهد ، كما أوردناها باختصار . هذا والكثير قد زهدوا تديناً لما في الزهد من خفة المؤونة ، وسهولة الحساب ، يقولون كما قال محمد بن واسع : « يعجبني أن يصبح الرجل وليس عنده غذاء ، ويمسي وليس له عشاء ، وهو مع ذلك راض عن الله ! » . صرفوا نفوسهم عن الشهوات ، وأكثروا من ذكر الموت والقبور ، وعدّوا أنفسهم في الموتى ، وآثروا ما يبقى على ما يفنى ، ورفضوا أن يَمدوا أيديهم لأخذ عطاء من خليفة أو وال ، وقنعوا بالقليل ، كالذي فعله إبراهيم بن إسحاق الحربي ؛ عاش أكثر عمره على كِسَر يابسة وملح ، وربما عدم الملح ، ورفض أن يأخذ ألف دينار

---

(١) أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ص : ١٣٣ .

بعث بها إليه المعتضد ، وأنفق مرة في شهر رمضان كله درهما وأربعة دوانيق ونصفاً[1] .

كل هذه الأصناف ؛ كان منها في العصر العباسي . وكما كان بشار بن برد ، وأبو نواس ، والحسين بن الضحاك ، وحماد عجرد وسلم الخاسر ، واضرابهم يمثّلون نزعة المجون واللهو ، ويضرمون الخمرة في روحهم وشعرهم ، كان أبو العتاهية يعبّر عن نزعة الزهد ، ويروي غُلَّة الزاهدين .

فإن قال أبو نواس في دعوته إلى اللهو والعبث :

جريتُ مع الهوى طَلْقَ الجَمُوحِ
وَهَانَ عليَّ مأثورُ القبيح
وجدْتُ ألذَّ عاريةِ الليالي
قِرَانَ النَّغْم بالوَتَرِ الفصيح
ومُسْمِعةٍ متى ما شئتُ غنَّت
متى كان الخيامُ بذي طُلوحِ
تمتّع من شبابٍ ليس يبقى
وصِلْ بِعُرَى الغَبُوقِ عُرَى الصَّبُوح

قال أبو العتاهية في الجانب المناقض لهذا النهج السلوكي

---

(١) ياقوت الحموي : معجم الأدباء الجزء الأول .

في الحياة ، وفي الممارسة العملية من القناعة الشعبية واليسير البسيط من العيش :

رغيفُ خبزٍ يابسٍ تأكله في زاويهْ
وكوزُ ماء باردٍ تشربُه من صافيهْ
وغرفةٌ ضيقةٌ نفسُك فيها خاليهْ
أو مسجدٌ بمعزل عن الورى في ناحيهْ
تدرسُ فيه دفتراً مستنداً بساريَه
معتبراً بمن مضى من القرون الخاليه
خيرٌ من السّاعات في فيءِ القصور العاليه

وباختصار فالناس يتنازعون أيهما أشعر ، أبو نواس أمْ أبو العتاهية ، وليسوا يفضلون أحدهما في الحقيقة استناداً على الناحية الفنيّة ؛ وإنّما كلاهما يمثّل نزعة خاصة ، وكل فريق يفضّل من عبّر عن نفسه ، وجلّى نزعته .

فالأدب العباسي تمحور حول هاتين النزعتين البارزتين ؛ نزعة اللهو والمجون والعبث ، ونزعة الزهد . فأما نزعة اللهو فتمثّلت في الخمر والنسيب وما إليهما ، وشعراؤها : (أبو نواس ، مسلم بن الوليد ، سلم الخاسر ، حسين الضحاك ، حماد عجرد . . .) .

وأما نزعة الزهد ، فتمحورت في ذكر الموت والبعث والحساب

والجزاء ، وما قيل في حياة الزهاد ومأثور قولهم وفعلهم ، ويجيء أبو العتاهية في مقدمة هذه الفئة من الشعراء أمثال : سفيان الثوري ، وبشر بن الحارث الحافي ، ومسعر بن كدام ومنصور الفقيه ، وأبو عقال بن علوان ، وغيرهم .

أبو العتاهية في زهدياته

يقول أبو العتاهية :

ـ إسمع لنصح مشفقٍ يُدعى أبا العتاهية .

يشك الأقدمون في زهد أبي العتاهية ، ومردُّ ذلك أنّه كان يجمع المال ، ويصرف الناس عنه ، ويزهّد الناس في الدنيا ، ويتفانى في سبيلها .

فالشاعر سلّم الخاسر يقول فيه :

ما أقبح التزهّد من واعظٍ
يُزهّد الناس ولا يزهدُ

وعن الحصري جاء : دخل أبو العتاهية على ابنه محمد وقد تصوّف ، فقال : ألم أكن نهيتك عن هذا ؟ فقال ابنه : وما عليك أن أتعوّد الخبر . فأخذ أبو العتاهية يؤنبه ويقرّعه ثم قال له : أقبل على سوقك فإنها أعود عليك .

ومن هذا الشك أخذ النقاد على زهده ، فوضعوه في مرتبة الغرض الفنّي ، كي ينفرد به أبو العتاهية عن بقية الشعراء

الذين شغلهم الغزل والرثاء والمدح والهجاء . ويرجع هذا السبب إلى عوامل أهمها :

١ - إنَّ الفقر الذي مرَّ به الشاعر حمله على الحِرْص الشديد للمال .

٢ - كان الشاعر يتذلّل في جمع المال ، ولا ينفق منه للمحتاجين .

٣ - يتهجم على أخلاق الناس ، وينصب نفسه إماماً للصالحين .

٤ - يعدّ الشاعر خرّيجاً لمدرسة والبة بن الحباب الخليع ، فهو صاحب سيرة شائنة .

والذي يعنينا أنّ أبا العتاهية في زهده أعطى الشعر العربي سيلاً دافقاً من الحكم ، والمواعظ ، والنصائح ، أعجبت القدماء والمحدثين على السواء .

ففي زهد أبي العتاهية تتراءى لنا صور متشابكة داخل القصيدة الواحدة ، فإذ بنا أمام جبروت الله تعالى ، والموت ، والدنيا ، والناس ، وجميع الأسباب التي تمتّ إلى الكون والفناء .

فالسعيد عند الشاعر هو الزاهد الذي يقيم الصلاة في أوقاتها ، ويؤتي الزكاة ، فيقول :

وإذا اتسعت برزق ربك فاجعلن
منه الأجلَّ لأوجه الصدقاتِ

فـي الأقــربيـن وفـي الأبــاعــدِ تــارة
إنّ الــزكــاة قــريــنــة الــصــلواتِ

ويجيء الزهد عنده في الاكتفاء ، كما يجيء العفو عند المقدرة . فلا خير في طمع ، بعده مذلّة .

أبو العتاهية يأمر كواعظ ، وعالم بخير الأمور ، انّه ينهى عن أمور كثيرة ، ويرسم طريقاً بمعالم من العبر ، وذكريات الأجيال والملوك ، والعظماء ، فيسيطر على فكرته هاجس الموت ، هذا الموت الذي لا يفارقه لحظة في شعوره ، وفي إحساسه ، في قيامه ، وقعوده ، فيقول :

خــذ كــلَّ مــا شئــت وعشْ آمــنــاً
آخــر هــذا كــلُّه الــمــوتُ

ويقول أيضاً :

ومن أعجب الــدنيا يقينــك بــالفنــا
وأنــكَ فــيــهــا لــلبــقــاء تــريــدُ
وربِّ البلى إن الـجـديـد إلى الـبلى
وإن الــذي يُبلى الجــديــد جــديــدُ
ألا تــأتــي الـقــبــور صــبــاح يــوم
فــتــســمــع مــا تُــخــبــرك الـقــبــور؟

فالزاهد في الدنيا هو قرير العين ، يخاف الله ، ويعمل

عملاً حسناً ، يرفض زينة الحياة ، ومباهجها ، ويكتفي بزاد الآخرة . وحده تعالى الباقي ، فالملوك العظام أصبحوا تراباً ، كما ولدوا من التراب .

إنّ التقوى والقناعة تحميان العرض ، وتقرّان النفس ، وما الأمم إلا كالزرع نحصده يوماً ، كما تحصدنا المنايا ، فمن صارع الدّهر صُرِع ، ومَنْ اتّسع بيته ، فقبره غير واسع . أيفرح الناس بدنيا زائلة ؟ ويغتبطون بمنزلة فيها لا تدوم ؟ فحبلها مقطوع ، وناصرها مخذول . . . فيقول أبو العتاهية :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
إنّ السفينة لا تجري على اليَبَسِ
لا تأمن الحتف فيما تستلذّ وإن
لانت ملامسه في كفّ ملتمِسِ
الحمد للّهِ شكراً لا مثيل له
كم من حبيبٍ من الأهلين مختَلَسِ

ويقول أيضاً :

أمم مزروعةٌ محصودة
كل مزروعٍ فللحصد زُرِعْ
إنما الدنيا على ما جُبِلَتْ
جيفةٌ نحن عليها نصطرعْ

ويذكرنا حيث تنفع الذكرى :

أمـا بيـوتـك في الـدنيـا فـواسعـةً
فليت قبـرك بعـد الـمـوت يتسـعُ
يـا جامـع المال، في الـدنيا، لـوارثه،
هـل أنتَ بالمـال، بعد المـوت، تنتفِعُ

* * * *

لا يعـرف الشـوق إلا مـن يكـابـدُهُ
ولا الـصـبـابـة إلاّ مـن يـعـانـيـهـا

* * * *

ويتساءل أبو العتاهية عن الناس الذين يدعون إلى الحق ولا يعملون به ، ويقرأون كتاب الله ، ولا يتّبعون ما شرّعه سبحانه وتعالى ، فالصمت أوْلى بهم من الكلام ، والجاهل أعذر بذنبه من ذنبهم :

مـن كـان لا تـشـبـه أفـعـالـه
أقـوالـه فـصـمـتُـهُ أجـمـل
والـراكـب الـذّنـب عـلى جـهـله
أعـذر مـمّـن كـان لا يـجـهـل

* * * *

ومن أمثاله في هذا الرأي :

والـمـرء ليس بـكـامـلٍ في قـولـه
حـتـى يـزيّـن قـولـه بـفـعـالِ

وإذ بالشاعر يسلك طريق الأدب ، فيعتمد على الزمن كخير مؤدِّب ، فهـذا يعلّمنا الـرُّشـد ، والتحـرّر من الشهـوات والمطامع ، ويعلمنا الهدى ، وصالح الأعمال . . . فالمقادير تعمل ، والمرء يعيش الأمل :

كـلٌ لـه عـلّةٌ يـفـوه بـهـا
سـبـحـان ربـي مـا أكـثـر الـعـللا

* * * *

وما الحياة الدنيا سوى دول لا نأمن مساعدتها ، والمرء فيها يغفل عن الأمور العظيمة ، ويتلهّى بالأمور الصغيرة ، يعشق الحرام ، فكم من ذليل عزّ ، ومن عزيز ذلّ . إنَّ الشاعر يسوق الحكم والأمثال ، ويغوص في أعماق النفس البشرية ، فيشرّع قانوناً للتربية ، والعلم ، والأدب . إنه يتوجّع من الواقع ، فيتجرّع أقوال الأنبياء والرسل ، وينضح كلام الله شعراً لهداية الإنسان والأجيال .

إنّه يردّد العلل والأسباب ، ويصف الدواء ، إنّه يعزف على قيثارة الخلاص والهداية ، فتتمحور أناشيده الزهدية على نفس الأوتار ، وتتقارب ألحانها ، فمن عالمٍ بائد ، إلى عالم

أزلي ، ومن قصور شامخة ، إلى مقابر متواضعة ؛ القبر وحده الموعظة ، إنّه يذكّرنا في تكراره ، أنّه يُحزننا ولا يبكينا ، انه يميتنا قبل موتنا ، فينصب خيمة الموت على سطوح منازلنا ، ويذكّر حيث تنفع الذكرى :

كم من ملوك زال عنهم ملكهم
فكأنّ ذاك الملك كان خيالا

* * * *

قد كان مغترّاً بيوم وفاته حتى أتاه
الناس في غفلاتهم والموت دائرة رحاه
فالحمدُ للّه الذي يبقى ويهلك ما سواه

ويذكّر قائلاً :

كم من فتى قد دنت للموت رحلتُهُ
وخير زاد الفتى للقبر تقواه
ما أقربَ الموت في الدنيا وأبعدَه
وما أمرّ جنى الدنيا وأحلاه
كم نافس المرء في شيء وكابر فيه
الناس ثم مضى عنه وخلّاه

وكم شقيق فارق شقيقه :

يبكي عليه قليلاً ثم يخرجه
فيسكن الأرض منه ثم ينساه

وكل ذي أجلٍ يوماً سيبلغُهُ
وكل ذي عملٍ يوماً سيلقاهُ

بصمات الدين في زهد أبي العتاهية

الحمد لله يقضي ما يشاء ولا يقضى عليه .

يرى أبو إسحاق أنَّ المرء قلَّما يشكر الله ، وقلَّما يرضى بقضائه ، ومع هذا فإنَّ نعماء الله ، وفضله ، وإحسانه ، يهبها للإنسان بدون حساب .

ويتساءل لماذا الناس كالذئاب ، لا يسألون الله غير الرغائب ، والأطماع ؟ إن الله وحده مدبّر كل شيء ، ومحمّل السحاب غيثاً ، فمنه الثواب والعقاب ، والأجْر والمغفرة ، به نستعين ، فله الحمد والشكر ، بطاعته العزّ ، وفي تقواه السلام من غلائل السبيل .

فالجهاد عند أبي العتاهية ، هو جهاد المتصوّف :

أشدّ الجهاد جهاد الهوى
وما كرّم المرء إلاّ التّقى

والتاجر الحقيقي عنده الذي يربح الحمد والأجر :

اغتنم وصْل الذي كان حيّاً
فكَفَى بالموتِ نأياً ، وهجرا
واجعلِ المالَ إلى اللّهِ زاداً،
واجعلِ الدّنيا طريقاً وجسرا
إنّما التاجر حقاً، ويقيناً،
تاجرُ يربحُ حمْداً، وأجرا

وعن صاحب الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني)[1] قال : لما حضرت أبا العتاهية الوفاة أوصى بأن يكتب على قبره :

أُذْن حَيٍّ تَسَمَّعِي، إسْمَعي، ثمّ عي، وعي
أنا رهنٌ بمضجعي، فاحذَري مثلَ مَصرَعي
عِشْتُ تسعينَ حِجّةً، أسْلَمَتْني لمضْجعي
ليس زادٌ سِوَى التّقى، فخُذي منهُ أوْ دَعي

ويكثر عنده ترداد : (الله ـ الموت ـ الحساب ـ الدنيا ـ الأعمال) ، فيقول :

الا إلى الله تصيرُ الأمورْ،
ما أنتِ، يا دُنيايَ، إلاّ غرورْ

(١) أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني ٤/١١٧ .

نـحـن بـنـو الأرض وسُكـانُـهَـا،
منهـا خُـلِقْنـا وإلـيـهـا نـصيـرْ
إذا عـرفـت الله، فـاقـنـع بـه،
فعنـدُكَ الحظّ الجـزيـلُ ، الكـثيـرْ
تـبـارَكَ الـلّهُ، فـسُـبْـحـانَـهُ،
مَـنْ جَهِـلَ اللّهَ، فَـذاكَ الـفـقـيـرْ

* * * *

ويقول :
فـإنّـمـا الـمـرء مِـنْ زُجـاجٍ ،
إنْ لـم يُـرْفَـقْ بـه تَـكَـسّـرْ
فـي الـمـوتِ شُـغْـلٌ لـكُـلّ حيٍّ ،
وأيّ شُـغْـلٍ لِـمَـنْ تـفـكّـرْ

وحدّث الصولى عن محمد بن أبي العتاهية قال : جاذب رجل من كنانة أبا العتاهية في شيء ففخر عليه الكناني ، واستطال يقوم من أهله . فقال أبو العتاهية[1] :
دعـنـي مـن ذِكْـرِ أبٍ وجَـدٍّ،
ونَـسَـبٍ يُـعـليـكَ سُـورَ الـمـجْـدِ

---

(١) ديوان أبي العتاهية ، ص : ١٢١ . دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٨٠ م .

مـا الفخـرُ إلاّ في التّقى والـزّهـدِ،
وطـاعـةٍ تُـعـطي جنـانَ الـخُـلْدِ

لا بُـدّ مـن وِرْدٍ لأهـلِ الـوِرْدِ،
إمّـا إلـى ضَـحْـلٍ، وإمّـا عِـدّ[1]

فالسعادة عند أبي إسحاق هي في طاعة الله ، فسبحانه لـه الحمد :

لك الحمدُ يا ذا العرش يـا خير معبـودِ
ويـا خيـر مسؤول ويـا خيـر محمـودِ

* * * *

ويتذكّر أبو العتاهية ماضيه ، فيبكي على ذنبه ، وما لاقى من كرْبه ، فيا ذلّه ، وخجله يوم الدين ، يوم يعاتبه ربّه ، فيقول :

فيـا ذُلّـي، ويـا خَـجَـلي، إذا مـا قـال لـي رَبّـي
أمـا استَحييتَ تعصِيني، ولا تَـخشَـى من الـعَتْـبِ
فتُبْ مـمّـا جَنَيْتَ عَسَى تـعُـودُ إلى رِضَى الـرّبّ[2]

---

(١) الورد : النصيب من الماء الذي يورد أي يصار إليه ، والقوم الواردون الماء . عد من عدى عن الشيء : تركه ـ وعد بكسر العين : الماء الجاري الذي لا ينقطع .

(٢) ديوان أبي العتاهية ، ص : ٣٩ . تخشى : تهاب . جنيت : عملت قمت به ، حصدت . عسى : لعلّ . (استعمل الشاعر مجزوء الوافر في مناجاته) .

ويدعو للإصلاح ، فيردّد مآثره ، ويقول :

سبحـان ربّك ذي الجـلالِ ! أمـا تـرى
نُــوَبَ الـزّمــانِ عليكَ، كيف تنُــوبُ
سبحـان ربّـك! كيف يغلِبُـكَ الهـوَى،
سُــبـحَــانَــهُ! إنّ الــهَــوَى لَـغَــلُوبُ
سبحـان ربّـك! مـا تـزال، وفيـك عن
إصــلاحِ نفسِـك فتــرةٌ، ونكــوبُ[1]
سبحــان ربّــك! كـيف يـلتــذّ امـرُؤٌ
بــالـعـيش وهــو بـنـفـسِــهِ مــطلُوبُ

وفي معرض الحِكَم ، والإيمان بالله الواحد ما رُوي عن أبي العتاهية : أنه جلس في دكان ورّاق فأخذ كتـاباً ، فكتب على ظهره على البديهة :

ألا إنّــنــا كــلّنــا بــائـدُ،
وأيّ بــنــي آدمٍ خَــالِــدُ؟
وبَــدْؤهُــمْ كــان مِــنْ ربّــهــمْ،
وكــلٌّ إلــى رَبّــهِ عــائــدُ
فيــا عَجَبًــا كـيفَ يـعـصي الإلــهَ
أمْ كــيــفَ يــجــحــدُهُ الــجــاحِــدُ

---

(١) نكوب : عدول وإعراض .

ولـلّهِ فـي كـلّ تـحـريـكـةٍ،
وفـي كـلّ تـسـكـيـنَـةٍ شـاهِـدُ
وفـي كـلّ شـيءٍ لـه آيَـةٌ،
تـدُلّ عـلى أنّـه الـواحِـدُ

* * * *

ولما انصرف أبو العتاهية ، اجتاز أبو نواس بالموضع فرأى الأبيات فقال : لمن هذا ؟ فقيل له : لأبي العتاهية . فقال : لوددتها لي بجميع شعري[1] .

وفي مجال الترهيب الذي لا يبرح أبا العتاهية ، يرى أنّ أفظع الأيام هو يوم القيامة ، فعمامته من نسج القبور ، ونفسه مشحونة بالندم والحسرة ، فيقول :

ولـلّه يـومـي أيّ يـومٍ فـظاعـةٍ،
وأفـظع منـه، بعـدُ، يـومُ قيـامَتي
ولـلّه أهْلي، إذْ حَبَـوْني بـحُـفْـرةٍ،
وهُـمْ بهَـوَاني يـطلُبُـونَ كـرامتي
ولـلّه دنـيـا لا تـزالُ تـرُدّني
أباطيلُها، فى الجهـل، بعد استقـامتي

---

(١) ديوان أبي العتاهية ، ص ١٢٢ .

وللّه أصحــابُ المــلاعب، لــوصَفَتْ
لـهُـمْ لــذّةُ الــدّنــيــا بــهــنّ ودامَــتِ
ولــلّهِ عــيــنٌ أيــقــنــتْ أنّ جَــنّــةً
ونــاراً يــقــيــنٌ صــادقٌ ثــم نَــامَــتِ.

* * * *

وينهج الشاعر نهج الفلاسفة في نفيه الصفات عن الخالق ، فيقول[1] :

سُبحــانَ مَــن لم تَــزلْ لــه حِــجَــجٌ،
قَــامَــتِ عــلى خَــلقِــهِ بــمــعْــرِفَــتِــهْ
قــد عَــلِمُــوا أنّــهُ الإلــهُ ولَــ
ـكنْ عجــزَ الــواصِــفــونَ عن صِفتِــهْ

وتارة أخرى نرى الشاعر يلصق صفات عـديدة لله سبحانه وتعـالى ، ولكن هذه الصفـات مُقْتَبَسَة من كتـاب الله ، وسنّة نبيّه ، كجبّار ، وقويّ ، ومجيد، وجليـل، ولطيف، وحميـد، وقادر، وقاهر، وغني ، وقريب، ورحيم ، . . . إلخ .

فيقول :

ولا مُــلْك إلاّ مــلكُــهُ، عــزَّ وجــهُــهُ،
هــو القبْــلُ في سلطانــه، وهــو البَعْــدُ

---

(١) يستعمل في تهجده بحر المنسرح .

فيا نفسُ خافي اللَّه، واجتهدي لهُ،
فقد فاتَتِ الأيامُ، واقتربَ الوَعْدُ
فخيرُ مماتٍ قَتْلَةٌ في سبيله،
وخيرُ المعاشِ الخوف منه أو الزّهدُ

ويقول أيضاً :

سبحانَ علاّمِ الغُيوبِ،
عجباً لتصريفِ الخُطوبِ[1]

* * * *

وكذلك :

الحمد لله الواحِدِ الصّمَدِ،
فهو الذي به رجائي، وسندي[2]
عليه أرزاقنا فليس مع الـ
لَّه بنا حاجةٌ إلى أحَدِ

* * * *

---

(١) الخطوب : الواحد خطب : الأمر صغر أو عظم ، وغلب استعماله للأمر العظيم المكروه .
(٢) الصّمد : الدائم ، وهو من الأسماء الحسنى .

ولِلَّهِ في الــدنيــا أعــاجيب جمّــةٌ،
تَــدُلّ عــلى تــدبــيــرِهِ، وبَــدائِــعُ
ولله أســـرارُ الأمـــور، وإن جَــرَتْ
بهــا ظـاهــراً، بين العبـادِ، المنــافـع

ويخاطب ابن آدم قائلاً :

وعصيتَ رَبَّــكَ يـا ابنَ آدمَ جــاهـداً،
فـوجـدت ربَّــك، إذْ عصيتَ، حليمـا
وسَـــألْتَ رَبَّــك يــا ابنَ آدَمَ، رغبـــةً،
فـوجـدتَ ربَّـك، إذْ سـألتَ، كــريمَـا
ودعـــوت ربَّــك يــا ابـن آدَمَ رَهْبَــةً،
فـوجـدْت ربَّـك ، إذْ دعـوتَ، رحيمـا
فـلئن شـكــرتَ لتشكُــرَنّ لِـمُـنعِمٍ ،
ولَئِنْ كفـرتَ لَـتَـكْـفُــرَنّ عــظيـمــا
فـتـبــارك اللَّهُ الــذي هـــو لـم يــزلْ
مَلِكــاً، بمـا تُخْفى الصّــدورُ، عليمـا

* * * *

فأبو العتاهية يجد لذّةً في تكراره اسم الله ؛ ليشبع شـوقه إليـه ، فـالثّقـة بـه تعـالى لا تُحَـدّ ، إنـه الـرحيم ، العليم ، العـظيم ، الرازق الكـريم ، فعـطاؤه لا يُحصى ، وعـدلـه لا

يُضاهى ، به نستعين ، وإليه نعود ، فطوبى لمن يزيد في التّقى ، وهمّه المعاد ، وأقواله في الله ، والشكر له وحده عزّ وجلّ ، يُهدي من يشاء ، ويُذلّ مَنْ يشاء ، بيده المُلْك ، وهو على كلّ شيءٍ قدير .

من زهديات أبي العتاهية
فكرة الموت

سيصيرُ المرءُ، يوماً، جسداً ما فيه روحُ
بين عينيْ كلّ حيٍّ عَلَمُ الموْتِ يلُوحُ
كلُّنا في غَفْلَةٍ والـ ـموتُ يَغدو، ويروحُ

إنها كلمة الحق ، يزفّها أبو العتاهية شعراً ، وعبراً لِمَنْ يعتبر ، فالناس خُلِقُوا للفناء ، فلا يبقى منهم سوى الذكرى . والموت على العباد روّاح غدّاء ، يصيب من يشاء ، ويخطىء من يشاء ، المرء بكّاء على أمواته ، ولكنّه لم يبكِ نفسه أيّام حياته . أجل كلّ حيٍّ آتٍ عليه الموت ، ولكلّ شيء بداية ونهاية ، فنحن للفناء وللبلى نبني ، فلا الطبيب يدفع المكروه ، وقد يعيش المريض المُداوى ، ويموت الطبيب المُداوي ، فيقول :

نَعى لك شَرْخَ الشّبابِ المشيبُ،
ونادتْكَ، باسم سِواكَ، الخُطوبُ

وقبلَكَ داوَى الطبيبُ المريضَ،

فعاشَ المريضُ وماتَ الطبيبُ

* * * *

وقد تمثّل الرشيد بهذه الأبيات عند وفاته أكثر من مرة .

والشاعر دائم التهديد والوعيد بالموت ، فالترهيب وسيلته الدائمة إلى مخاطبة البشر ، وكأنّ الترهيب عنده طغى على ما دونه من ترغيب في الإسلام ، ومن جنّات عدن تجري من تحتها الأنهار ، ولعلّ أبا العتاهية قد شُدَّ إلى الموت بجميع حواسّه ، فضاع منه الأمل والرجاء ، ورأى كل غدوة تقرّبه من المنية ، فيقول :

هو الموت الذي لا بدّ منه

فلا يلعب بك الأملُ الكذوبُ

* * * *

وكلّ مملَّكٍ سيصير يوماً

وما ملكت يداه معاً ترابا

فيا عجبا تموت وأنت تبني

وتتخذ المصانع والقبابا.

* * * *

وإننا لنلمس في نفس الشاعر الحزن والأسى يغمران

جوارحه ، ويدفعان بنا إلى التأمل في هذه الدنيا الزائلة . فقبر الحبيب يعيا عن الجواب ، ولو كان ينطق ، لقال : أكل التراب محاسن الشباب . أوَلَيْسَتْ هذه الصورة الفنيّة تؤجّج في نفوسنا الألم ، فنبكي ذاتنا قبل البكاء علينا :

مـا لي مَـرَرْتُ على القبـورِ مسلّمـاً
قبـر الحبيـبِ، فلم يـرُدّ جـوابـي[1]

لَـوْ كَـانَ يَنْـطِقُ بـالجـوابِ لَقَـالَ لي :
أكـل الـتـرابُ محـاسـني وشبـابي

* * * *

وهذا الموت لا بدّ منه :

يـهـرب المـرء من الـمـوت وهـل
ينفـعُ الـمـرءَ منَ الـمـوتِ الهـرب

* * * *

ويتمثل بالقرآن الكريم ، فيقول :

الـمـوت حـق والـدار فـانـيـة
وكـل نـفس تـجـزى بـمـا كَـسبَتْ

* * * *

وينادي الشاعر الناس أن يتأهبوا للموت ، فالموت يملأ كلّ

---

(١) قوله : مسلماً قبر الحبيب ، أراد على قبر الحبيب فنصب بنزع الخافض .

الأرض ، وهم يتنافسون في جمع المال وحطام الدنيا ، فكلّ شيءٍ للزوال ، فكم واحد جمع وحصّن وشاد وليس بباق .

الموت دَيْنٌ ، فتيقظ أيها الإنسان ، واستيقظ من غفلتك ، فكأنك لم ترَ كيف يكون الفناء ، وكيف يموت الكبير والصغير :

ومن يأمن الدّهرَ في وعْدِه؟
وللدَّهرِ في كلّ وعدٍ وعيدُ
أراك تؤمّلُ، والشّيب قَدْ
أتاكَ، بنعيكَ، منه بَريدُ
وتنقصُ في كلّ تنفيسةٍ،
وأنتَ بظنّك فيها تزيدُ

الموت لا يبقي أحداً فينا ، فسهامه فينا غير مخطئة ، من فاته اليوم سهم لم يفته غداً ، فالمنايا تجوس الأرض ، وتبيد مَنْ عليها ، هنّ أفنين من مضى ، فأين داود وأين سليمان الحكيم ونمرود ، وأين قارون وهامان ، وذو الأوتاد . إنّ في ذكرهم اعتباراً لمن يعتبر ، فكلّهم وردوا حياض الموت :

المنايا تجوسُ كلّ البلادِ،
والمنايا تُبيدُ كلّ العِبَادِ[1]

---

(١) ديوان أبي العتاهية ، ص : ١٣١ . تجوس : تطلب بحرص واستقصاء

لـتَـنَـالَـنَّ مِـنْ قـرونٍ، أراهـا،
مـثـل مـا نِـلْـنَ مِـنْ ثَـمُـودٍ وعـادِ

هُـنَّ أفـنـيـنَ مـن مـضـى مـن نِـزارٍ،
هُـنَّ أفْـنَـيـنَ مَـنْ مَـضَـى مِـنْ إيـادِ

أيـنَ داوُدُ، أيـنَ أيـنَ سُـلَيْـمـا
نُ الـمَـنـيـعُ الأعـراضِ، والأجـنـادِ

أيـنَ نـمـرودُ وابـنُـهُ، أيـنَ قـارو
نُ، وهـامـانُ، أيـنَ ذو الأوتـادِ

وَرَدوا كُـلّهُـمْ حـيـاضَ الـمـنـايـا،
ثـم لـم يَـصْـدِروا عَـنِ الإيـرادِ

فمهما احترز الإنسان من الموت لا بدّ منه ، هو يفْني الأحياء بعد أنْ أفْنَى الآباءَ والأجداد ، فالموتُ بابٌ وكلّ الناس داخلُهُ ، فلا بدّ من موتٍ ، ولا بدّ من بلى ، ولا بدٌ من بعثٍ وحشر .

وقيل : اجتمع الخلفاء الراشدون ، فقال أبو بكر من نوع الإجازة :

الـمـوتُ بـابٌ وكـلُّ الـنّـاسِ داخلُهُ،
يا ليتَ شعري، بعد الباب، ما الدَّارُ

فأجازه عمر بن الخطاب بقوله :

الـــدار جنّـــةُ خُلْدٍ، إنْ عَـمِلْتَ بـمـــا
يـرضي الإلَـهَ، وإنْ قصّـرتَ، فـالنـــارُ

فأجازه عثمان بن عفّان بقوله :

همـــا محـلّان مـــا للنـاس غيـــرهمـا،
فـــانـظر لنفســك، أيّ الـــدار تختـــارُ

فأجازه علي بن أبي طالب ، بقوله :

مـا للعباد سـوى الفردوسِ إن عملوا،
وإن هفــوا هفــوةً، فـــالــرّبُ غـفّـــارُ

فالدّهـر عند أبي العتـاهية لا يـأمنه إلّا الخـائن البَطِر ، ولا يجهـل الرّشـد من خاف الإلَـه ، ومن أمسى يفكّر في دينـه ، فالناس في الدنيا على سفر ، فأين أهلُ التّقى والأنبياء ، ومن جاءت بفضلهم الآيات والسّور ، فيقول :

أينَ القُــرونُ، وأيـنَ المـبتـنـــون لنـــا
هَـذي المـدائن، فيهـا المـاءُ والشّجَـرُ
أُعْــدُدْ أبـــا بكـــرٍ الصّــدّيـق أوّلَهُـمْ،
ونـادِ من بعـدُ في الفضـل: أيـا عُمَـــرُ
وعـــدّ من بَعـــدِ عُثمـــانٍ أبـــا حَسَنٍ،
فـــإنّ فَـضْـلَهُـمــا يُــرْوَى، ويُـــذْكَــرُ

لم يبقَ أهــلُ التّقَى فـيهــا لـبِّــرهِم،
ولا الجبــابــرةُ الأمــلاكُ مــا عَمَــرُوا

وكما تردّد القول في الذين قضوا ، يتردّد القول عند الشاعر في البعث والقيامة والحساب ، فلو كان الموت لا شيء بعده لهان الأمر ؛ لكنه حشر ، ونشر ، وجنّة، ونار . فأعظم الربح هو الحمد لله ، والتزوّد بزاد التقوى ، والاستعداد للموت :

واجْــعَــلِ الــمــالَ إلــى الــلَّهِ زاداً،
واجْعَــلِ الـدّنْيَــا طــريقــاً وجِسْــرَا
إنّـمــا الـتّــاجــرُ حَـقّــاً، يَـقــينــاً،
تَــاجِــرٌ يَــرْبَــحُ حَــمْــداً، وأجْــرَا

* * * *

لا فَـخْــرَ إلا فـخــرُ أهــلِ الـتّـقــى،
غــداً، إذا ضــمّـهُــمُ الــمــحْــشَــرُ

* * * *

للنّاس في السّبقِ، بعدَ اليومِ ، مضمارُ،
والـمُـنْــتَـهَــى جنّــةٌ لا بُــدَّ أوْ نَــارُ

* * * *

حقــاً إنَّ المـوت داء لا دواء لـه ، لا يسلم منـه رفيـع ، أو

وضيع ، فكلّ حيّ من كأس المنون سيشرب ، وفي يوم الحساب لن ينجو سوى المطيع لأوامر الله ، ونواهيه .

فحكاية الموت عند أبي العتاهية واحدة ؛ فهو يصف الإنسان في سيره إلى قبره ، ويحذّره من دنياه ، ويذكّره بالقرون الماضية ، وكيف مضى العظماء والجبابرة ، ولا ينسى يوم الحساب ، حيث (تبْيَضّ وجوه ، وتسْوَدّ وجوه) ، فيفوز بالنعيم مَنْ اتّقى ربّه ، وخشيه .

إنّ الموت سيف مسلول على رقاب العباد ، فكلّنا بالموت مرتهن :

أُخَيّ! أرَى للدّهر نَبْلاً مصيبةً،
إذا ما رمانا الدّهرُ لم يُخْطِ نَبْلُهُ

* * * *

ويقول أيضاً :

ألم تر أنّ أقسام المنايا
تُوَزَّعُ بَيْنَنَا، قسماً، فقِسْمَا
سيُفنينا الذي أفنى جَديساً،
وأفْنَى قبْلَنَا إرَماً، وَطَسْمَا[1]

(١) طسم وجديس : قبيلتان من العمالقة من بني إرم أقامتا في بلاد البحرين واليمامة . أذل ملك طسم نساء جديس فقاتلوه ، وأفنوا =

تـوسّـعْ فــي حَـلاَلِ الــلَّهِ أكْــلاً،
وإلاّ لــم تـجِـدْ لـلعيشِ طَـعْـمَـا

من زهديات أبي العتاهية

الدنيا

يقول أبو إسحاق :

أنــا بــالــلَّهِ وحــده وإلــيــه،
إنَّــمــا الـخـيـرُ كُـلّهُ فــي يَـدَيْـهِ
أحـمــدُ اللَّهَ، وهــو ألـهمني الـحـمـ
ـدَ عـلى الـمـنّ والـمـزيـدُ لَـدَيْـهِ
كَـمْ زَمَـانٍ بكـيـتُ مـنـهُ قـديـمـاً،
ثــمّ لـمَّــا مَـضَـى بَـكَـيْـتُ عَـلَيْـهِ

فالدنيا في زهديات أبي العتاهية هي الدنيا ، والدّهر ، والزمان ، والأيام ، كلمات كثيرة لمدلول واحد ،

= قبيلته إلا واحداً منهم استغاث بقحطان ، فقاتلوا جديساً حتى أفنوهم .

إرم : قبيلة ضربها الله بغضبه لخطاياها ، وقيل إنها مدينة إرم ذات العماد المذكورة في القرآن الكريم ، وهو الرأي السائد بين المفسرين .

يقـول شاعرنا :

كــلٌّ يُـنَـقَّـلُ فـي ضِيـقٍ، وفي سَـعَــةٍ
ولــلزّمــانِ بــه شــدٌّ وإرْخــاءُ

* * * *

ومـا الدّهـر يومـاً واحداً في اختـلافِـه؛
ومــا كــلّ أيّــام الــفــتــى بِــسَــوَاءِ
ومــا هــو إلّا يــومُ بُــؤسٍ وشــدّة
ويــومُ سُــرُور، مــرّةً، وَرَخَــاء[1]
أمــامَـكَ، يــا نَــوْمــانُ، دارُ سعــادةٍ
يــدومُ البقــاء فيهــا، ودار شــقــاء[2]
خُلقتَ لإحــدى الغـايتين، فــلا تنمْ،
وكــنْ بيــنَ خــوفٍ مــنـهــمــا ورجــاءِ

فالزمان يُسْرٌ وعُسْرٌ، ضيقٌ وسَعَة، فرح وترح، والشاعر يقف منه موقف الخائف المرتجف ، فيكثر الوقوف ، والتساؤل ، ويتعجّب من أمر هذه الدنيا الفانية .

وعن الأصمعي قال : صنع الرشيد طعاماً وزخرف مجالسه وأحضر أبا العتاهية وقال له : صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه

---

(١) الرخاء : سعة العيش .

(٢) النوما : الكثير النوم وهو خاص بالنداء .

الدنيا ، فقال أبو العتاهية (من مجزوء الكامل) :

عِشْ ما بَدَا لَكَ سالماً،
في ظِلّ شاهقةِ القصورِ

فقال الرشيد : أحسنت ثم ماذا ؟ فقال :

يُسعى عليك بما اشتَهَيْـ
ـتَ لَدَى الرّواحِ أوِ البُكورِ

فقال : حسن ثم ماذا ؟ فقال :

فإذا النفوسُ تَقَعْقَعَتْ،
في ظِلّ حَشرَجةِ الصّدورِ
فَهُنَاكَ تَعلَمُ، مُوقِناً،
ما كنتَ إلّا في غُرُورِ

فبكى الرشيد . فقال الفضل بن يحيى البرمكي : بعث إليك أمير المؤمنين لتسرّه فحزّنته . فقال الرشيد : دعه فإنه رآنا في عمىً ، فكره أن يزيدنا منه .

فأبو العتاهية شاعر متشائم من الدنيا التي تحاصره ، فيها الذِلّة ، والكدّ ، والأيام القصار ، فيها المكر والغرور :

أُفّ للدّنيا، فليست هي بدار،
إنّما الرّاحةُ في دارِ القرارْ

* * * *

ألا لا أرَى للمـرْءِ أنْ يـأمَنَ الـدّهْـرَا،
فـإنّ لـهُ، في طـولِ مـدّتِـهِ، مَكْـرَا

* * * *

فـي سـبـيـلِ اللّهِ، مـا أغْـفَلَنَـا،
نَـأْمَـنُ الـدّنْـيـا، ومـا أغـدَرَهَـا
إنّـمـا الـدّنـيـا كـظِلٍّ زائـلٍ،
أحـمـدُ الـلّهَ، كـذا قـدّرهـا.

* * * *

إنّـمـا الـدنـيـا بَـلاءٌ وكَـدٌّ،
واكـتـئـابٌ قـد يـسـوقُ اكـتِئـابَـا
مـا استـطاب العـيش فيـهـا حليـمٌ
لا ولا دام لـهُ مـا استَـطابَـا
مـا أرى الـدّنـيـا عـلى كـلّ حـيٍّ
نـالـهـا، إلّا أذىً وعَـذَابـا

فالإنسان يطوف في قفر الدنيا مفتّشاً عن الماء ، وليته يعلم أنّ كل ثروته في ما يكسبه من ذخر عند الله تعالى هو الرضى :

أكـثـرت فـي طـلب الـغـنـى لَـعِـبَـاً
وغـنـاك أن تـرضـى عـن الـدَّهـرِ

إنّ المأساة البشرية يعايشها أبو العتاهية عبر هذه الدنيا ، فالحكيم عنده هو الذي يبغض الدنيا ، ويرفض زينتها ، وكيف لا ؟ والحوادث بانتظارنا ، ونحن كما شيّعنا سوانا سَنُشيّع ، فما بالنا بالدنيا وآخرها القبر ، أن الأيّام تفرّقنا :

نَسْتَوْطِنُ الأرضَ داراً للغُرُورِ بها؛
وكُلّنا راحِلٌ عنها ومُنْطَلِقُ
كم من عزيزٍ أذَلَّ الموتُ مَصْرَعَهُ،
كانَتْ، على رأسه، الرّاياتُ تختفقُ

وقال أبو العتاهية ، وقد أخذ هذا المعنى عن الحسن البصري ، وكان سأله بعضهم : كيف ترى الدنيا ؟ فقال : شغلني توقع بلائها عن الفرح لرخائها :

تزيدُهُ الأيّامُ، إنْ أقبَلَتْ،
شِدّةَ خَوْفٍ لتصاريفِهَا
كأنّها في حالِ إسْعافِها
تُسْمِعُهُ أوْقاتَ تخويفِها

قيل وقد أوصى أن يكتب على قبره :

إنَّ عيشاً يكون آخره المو
تَ لعيشٌ معجّلُ التّنغيصِ

فهو يعتبر أنّ الموتَ حقٌّ ، والدارَ فانيةٌ ، وكل نفس

ستُجزى بما كسبت :

الـمـوتُ حقٌ، والـدارُ فـانـيـةٌ،
وكـلُّ نـفسٍ تُجـزَى بـمـا كَـسَبَـتْ

فـالشاعـر يغوص في تعـاليم الـدين الحنيف ، ويعـود إلى شاطئه يغترف منه الأحكـام والعِبَرَ ، فينـظمها شعـراً يُشفي به ظمأه ، ويؤانس وجدانه ، فيقول :

مَـنْ لَم يُـوالِ الـلَّهَ والـرُّسْـلَ الـتـي
نَصَحَتْ لـهُ، فـوليُّـهُ الـطَّاغـوت[1]

من زهديات أبي العتاهية

الآخرة

أبو العتاهيـة شاعـر مرهف الإحسـاس ، يؤثر الآخـرة على الـدنيا ؛ فـالآخرة هي الغـايـة القصـوى ، خُلِقَ البشـر لهـا ، وَسَيُسْأَلون عن أمور دنياهم ، وما اقترفوه من أعمال .

فالحديث عن الآخرة مرتبط ارتبـاطاً مبـاشراً بـالحديث عن الدنيا :

عُمـرُ الفتى ذكـرُهُ، لا طـولُ مُـدّتِـهِ
وَمَـوْتُـهُ خِـزْيُـهُ، لا يَـوْمُـهُ الـدّاني

---

(١) الطاغوت : الشيطان الصارف عن طريق الخير .

فـأحْيِ ذِكْـرَكَ بـالإحسـانِ تفعَـلُهُ،
يكُنْ كَـذَلـكَ، في الـدّنيـا، حَيـاتـانِ

ولو كان الخوف من الموت وحده ، لهان على الشاعر هذا المشـاق العسير فـاحتقره ، ولكنـه يـوم تقشعـرٌّ لـه الأبـدان ، فاسمعه يقول :

فلو كـانَ هولُ المـوتِ لا شيء بعـده،
لهـان علينـا الأمـر، واحتُقِـرَ الأمـرُ

ولـكنّـه حـشْـرٌ، ونـشـرٌ، وجـنّـةٌ،
ونـارٌ، وما قـد يستـطيـل بـه الخبـر[1]

وأبـو العتـاهيـة ينفي عنـه تهم الـزنـدقـة ، والتشكيـك في إخلاصه ، فعن الخطيب البغدادي ، روى أن الـرشيد قـال : « الناس يزعمون أنك زنديق ، فقال يا سيدي كيف أكون زنديقاً وأنا القائل :

فيـا عجبـا كـيـف يُعـصـى الإلـه
أمْ كـيـفَ يَـجْـحَـدُهُ الـجـاحِـدُ

ولـلّه فـي كـل تـحـريـكـةٍ،
وفـي كـلّ تـسـكـيـنـة شـاهِـدُ

---

(١) الحشر : البعث والمعاد . النشر : القيامة .

وفـي كـلِّ شـيءٍ لـهُ آيـةٌ،
تَـدُلُّ عـلى أنّـهُ الـواحِـدُ[٢]

والشاعر كثيراً ما يستقي معانيه من القرآن الكريم ، بحيث يظهر تأثره العميق بالمعنى القرآني ، وأحاديث الرسول ﷺ كقوله :

لـلّه يـومَ تـقـشـعِـرّ جـلودُهُـمْ،
وتـشـيـبُ منـهُ ذوائـبُ الأطـفـالِ
يـومُ الـنّـوازلِ والـزلازلِ، والحـوا
مِـل فيـه، إذْ يقـذِفْـنَ بـالأحْمـالِ
يـومُ يُـنـادى فيـهِ كُـلُّ مُـضَـلّلٍ
بـمـقـطّعـاتِ الـنّـار، والأغـلال
لـلمتّـقـيـن هـنـاكَ نُـزْلٌ وكَـرَامـة،
عَلَتِ الـوُجُـودَ بنضـرةٍ، وجمـالِ[٢]

وهو يؤمن بأنّ له ساعة وشيكة ، سيحاكم بها ، وينال ما قدّمت يداه ، وما أخّرت :

ألا إنّ لـي يـومـاً أُدانُ كـمـا دِنْـتُ،
ليُحصي كتـابي مـا أسـأت، وأحسَنْتُ

* * * *

---

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ٦ ، ص : ٢٥٣ .
(٢) ديوان أبي العتاهية ، ص : ٣٢٦ .

كما وأنّ الشاعر يؤمن بأسباب الموت ، بحيث سيُبْعَثُ المرء ويُجزى بما عمله في دنياه من خير أو شر :

فمـا مـاتَتِ الأحيـاءُ، إلا ليُبْعثُـوا،
والّا لتُجـزى كـل نفسٍ بمـا سَعَتْ

ويناشدنا أبو العتاهية التأهب ليوم الحشر ، فيأخذ العبرة من الأموات ، ويترك الدنيا الغرورة ، الساحرة فيقول :

ألـمْ تـر أنَّ دبـيـب الـليـالـي
يُـسـارِقُ نـفـسَـكَ سـاعـاتِـهَـا
وهـذي الـقـيـامـةُ قـد أشـرفـت،
عـلى الـعـالـمـينَ لـمـيـقـاتِـهَـا[1]

* * * *

فأبو العتاهية يمتلك الخلفية الصادقة في زهده ، فهو يحمل بذور الزهد منذ نعومة أظافره ، ولمّا أشبع أيامه باللهو والمجون ، ركن إلى أرضه الصالحة ، واستقرّ في تربته لتتحول بذوره إلى ثمار يانعة ، فإذ بنا أمام عالم يعظ ، وفقيه يستنبط الأحكام ، وشاعر يقف على قافية الموت والفناء في عطائه ، فيقول :

---

(١) السابق ، ص : ٩٩ .

تخفّف من الــدنيــا لعلّك أن تنجُــو،

ففي البـرّ والتّقوى لـكَ المسلكُ النّهجُ

رأيتُ خـرابَ الـدّارِ يُحليـه لهْـوُهــا،

إذا اجتمـعَ المزمـارُ والـطّبـلُ والصّنـج

ألا أيهــا المغـرورُ هــلْ لـكَ حُجَـةٌ،

فــأنتَ بهــا يــومَ القيــامــةِ مُـحْتَـجُّ

* * * *

وهو يحسب الموت جسراً للمرور من الحياة الفانيـة ، إلى الحياة الباقية :

ومــا المــوت إلا رحلةٌ، غَـيْــرَ أنّهــا

مِنَ المنزِلِ الفاني إلى المنزِلِ الباقي.

* * * *

ويوم الحساب عند شاعرنا ، يوم عسير ، لم ينج منه سوى المطيع لأوامر الله سبحانه وتعالى :

هــيــهــاتَ أنْ يــنــجُــو غــداً،

يــومَ الحســابِ، ســوى الـمــطيــعِ

* * * *

ويقول أيضاً :

غــداً يُـنــادَى مِـنَ الــقــبــورِ إلــى

هــوْلِ حــســابٍ عـليــهِ يُـجْـتَـمَـعُ

غــداً تُــوفَى النّفــوس مــا كسبتْ،

ويحصــدُ الــزّارعــونَ مــا زَرَعُــوا[1]

* * * *

أبو العتاهية ولواعج النفس

إنّ النّفس لأمّارة بالسوء .

يقول شاعرنا :

ومـالَتْ بك الـدنيا إلى اللهـو والصِّبَا،

ومن مـالَت الـدّنيـا بـه صــارَ عَبْـدَهَــا

إذا مـا صـدّقْتَ النَفسَ أكثـرتَ ذمّهـا،

وأكثْـرتَ شكـواهـا، وأقْلَلْتَ حَمْـدَهَــا

بنفسِـك قبـلَ النّـاسِ ، فـاعنِ، فـإنّهـا

تمــوتُ، إذا مـاتَتْ، وتُبعثُ وَحْــدَهَـا

إذا ذكّــرَتْــكَ الـنـفسُ دنـيــاً دنيّــةً،

فــلا تنسَ روضـاتِ الجِنــانِ وخُلدَهَـا

---

(۱) ديوان أبي العتاهية ، ص : ٢٦٨ .

بهذه الحكم والمواعظ يطلّ علينا أبو العتاهية ، وقد اختبر الحياة حلوها ومرّها ، فإذا الإنسان عبد دنياه ، يحرص على اللهو ؛ إذا ما مال مع نفسه وصدّقها ، لأنّ النفس أمّارة بالسوء ، تميل إلى الانغماس في ملذات الحياة .

والعاقل العاقل من ليس يغترّ ، ويتبع أهواءه ونزوات نفسه ، والمؤمن الورع من لا ينسى جنات الخلد ، فيعمل بما أنزل الرحمن .

أمّا الزهد عند الشاعر فهو في صون النفس عن هواها ، والبعد عن الطرب ، والملهى ، وأقبح قبحٍ عنده من لبيب يطرب في مثل سنّه ، ولم يتب :

إذا لم تَنْهَ نَفْسَكَ عن هواها ، وتُحسِنْ صَوْنَها ، فإليكَ عَنّي
فإنّ اللّهْوَ والمَلْهَى جُنُونٌ ، ولستُ منَ الجنُونِ ، وليسَ منّي
وأيّ القبح أَقْبَحُ من لبيب، يُرَى مُتَطَرِّباً في مِثْلِ سِنّي[1]

والشاعر يخاطب الأحياء ، جيران الموتى ، بأن يسلكوا طريق الحق ، هذا الحق الذي يعدّوه كريهاً ثقيلاً ، لأنهم في

---

(١) الديوان ، ص : ٤١٤ .

غفلةٍ من أمرهم :

إنّــي لــمــغــرورٌ، وإنّ الــبــلَى
يُســرعُ في جسمي، قليــلاً، قـليــلْ
تَــزَوّدَنْ لــلمــوت زاداً، فــقــد
نـادى مُنـاديـه، الـرّحيـلَ، الـرّحيـلْ
أغْــتَــرُّ بــالــدَّهْــرِ، عــلى أنّ لــي
في كـلّ يـومٍ منـه خـطبـاً جَليْـلْ
كَمْ من عــظيـمِ الشّــأنِ فـي نفســه
أصبـح مُعْـتَـزّاً، فـأمسى ذليـلْ

ولفظة الموت لا تفارق شاعرنا ، فهو يعتبر النفس غافلة عن الفناء ، غير أنّ صروف الدهـر لا تغفل عن شيء ، فـالنفس أمّارة بالمغريات الدنيوية ، لا تنفك تصارع الإنسان في ميولها وغـرائـزهـا ، فيخـاف عليهـا أبـو العتـاهيـة ويبكيهـا من يـوم الحساب ، يوم الحق :

أيا نفسُ! أنتِ، الدهر، في حال غفلةٍ،
وليست صـروف الـدهـر غـافلةً عنـكِ
أيا نفسُ كـم لي عنكِ من يومِ صرعةٍ،
إلى اللّهِ أشكـو مـا أعـالجُـهُ منـكِ

أيـا نفسُ! هـذي الـدّار لا دارُ قُلْعَـةٍ،

فلا تجعَلِنّ القصد في منـزلِ الإفْكِ[1]

والإنسان في نظر أبي العتاهية ، يُفني عمره ذهاباً وإيابـاً ، يبغي الأهل والمال والجاه ، ولكنّ غول الموت له بالمرصاد ، فمهما تكالبت نفسـه على الآمال ، فـإنّ زاد المرء من الحيـاة التّقوى ، وفضله أن يتفضّل بالأعمال الطيّبة ، لا أن يُؤثِر نفسه بالأحلام الفانية :

يـا نـفسُ! لا بـدّ مـن فـنـاءٍ،

فـقـصّـري الـعُـمْـرَ، أو أطـيـلي

مـا أفـظعَ الـمـوتَ لـلأمـانـي،

والأمَـلِ الـنّـازحِ، الـطّويـل

* * * *

ويقول أيضاً :

يـا نفسِ ! مـا هـو إلاّ صبـرُ أيّـامِ،

كـأنّ لـذّاتِـهـا أضـغـاث أحـلامِ

يـا نفسِ ! مـا لي لا أنفـكّ مِنْ طمعٍ

طَـرْفي إليـهِ سريـعٌ، طـامحٌ، سـامَ

---

(١) ديوان أبي العتاهية ، ص : ٣٠٠ .

الإفك : الكذب .

يـا نفسِ ! كوني ، عن الـدّنيـا ، مُبَعَّـدَةً
وخـلّفيـهــا ، فــإنّ الـخـيــرَ قُـدّامـي
يـا نفسِ ! ما الـذُّخرُ إلاّ مـا انتفعتِ به
بـالقبـرِ ، يــومَ يكـونُ الـدّفنُ إكـرامي

* * * *

فأيّ مناجاة أقرب للقلب من هـذه المناجـاة ، إنّها زفـرات روح الشاعر تؤجّج فينا غبطة العمل الصالح ، وترينا الخير كلّ الخير في ربوع الآخرة ، فالحياة الدنيا لم يرها أبو العتاهية أهلاً لإعـظام ، فهي كالنّفس تلهـو ، وتلعب ببني البشـر ، ولكنهـا سرعان ما تنقضي بقضاء الرحمن :

يـا سـاكنَ الــدّار تبنيهـا ، وتعمُــرُهـا ،
والــدّارُ دارُ مــنــيّـــاتٍ ، وأســقــامِ

ويتســاءل العتاهيُّ عن النفس الكـذّابة ، ومتى تهتـدي ؟ . متى تسمع النصيحة ، وتبصر الحكم والمواعظ ، وتبتعـد عن الضلال . فهو يأتيها بالبصائر ، وبحادثات القرون المـاضية ، والجبابرة الغابرة ، وبالصالحين الأوفياء هداية ومنارة . . . وهم جميعاً بين هذا وذاك لم يتركوا إلاّ المنازل ، والأموال ، لقومٍ آخرين :

يـا نـفسِ ! أنّى تـؤفَكـينـا، حتى متى لا تَـرْعَـويـنـا[1]
حـتـى مَـتَـى لا تُـقْـلِعـيـنَ، وتسمعين، وتبـصـرينـا
أصـبحـت أطـول من مـضى أمَـلاً، وأضـعفـهُمْ يـقـينـا
ولـيـأتـيَـنّ، عـليـكِ، مـا أفـنـى الـقـرونَ الأوّلـيـنـا
يـا نـفسِ ! طـال تمسّكي بعُـرى المُنى حيناً، فحينـا
يـا نـفسِ ! إلاّ تَـصْـلُحي، فـتشبّهي بـالصّـالحـينـا
وتـفـكّـري فـيـمـا أقـولُ، لـعـلّ قلبـكِ أنْ يـلينـا
أيـنَ الأُلـى جـمـعـوا، وكـانـوا، لـلحـوادثِ، آمنـينـا
أفـنـاهُـمُ الأجـلُ الـمـطـلُّ على الخـلائقِ أجمعينـا
فـإذا مـسـاكِـنُـهُـمْ، ومـا جَمَعُـوا، لقـومٍ آخـرينـا

وإذ كان عهد التصابي لأبي العتاهية عهداً مشكوكاً فيه عند بعض النقّاد والباحثين ، فإنّ عهد الشيخوخة ينمّ على أنّ الشاعر قد غاص في أعماق النّفس البشريّة ، وفي غاية الوجود ، فراح يفتش عن الأمان في الآخرة ، بعد أن كره دنياه ؛ راح ينشد آيات الرحمن شعراً ، ويُبالغ في زهده ، بعد أن سيطر على مخيّلته هاجس الموت العاجل ، فالتجأ إلى الله سبحانه يستغفره عمّا مضى منه ، فلا حيلة إلاّ الرجاء ، والعفو ، والفضل ، والرحمة من الرحمن وحده . فآخر شعر

(١) ديوان أبي العتاهية ، ص : ٤٢٦ . (تؤفكينا : تكذبين ـ أنّى : كيف) .

قاله في مرضه الذي مات فيه ، جاء يتضمّن إيمان الرجل الراسخ بربّه ، فيقول :

إلهي لا تعذِّبْني فإنّي
مُقِرٌّ بالّذي قد كان مِنّي

فما لي حيلةٌ إلاّ رجائي
لعفوِك إنْ عفوتَ وحسْنُ ظَنّي

وكم من زلّةٍ لي في الخطايا
وأنت عليَّ ذو فَضْلٍ ومَنِّ

إذا فكّرْتُ في ندمي عليها
عضِضْتُ أناملي وقرعْتُ سِنّي[1]

أجنُّ بزهرةِ الدنيا جنوناً
وأقطع طول عمري بالتّمنّي

ولو أنّي صدقْتُ الزُّهد عنها
قلبتُ لأهلها ظهر المِجَنِّ[2]

يظُنّ الناس بي خيراً وإنّي
لشرُّ الخْلقِ إنْ لم تعفُ عنّي

---

(١) أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني ج ٤ ، ص : ١١٥ . قرعت سني : ندمت .

(٢) المجن ج مجان : في الأصل الترس ، ويقال قلب ظهر المجن : عاداه بعد مودة .

أبو العتاهية مع المعاناة الشعبية

نُسَرُّ بدارٍ أورثتنا تضاغناً
عليها، ودارٍ أورثتنا تعاديا

* * * *

طغى النّاس حتى رأيت اللبيـ
ـبَ، في غيّ طغيانِهِ، يَعْمَهُ

* * * *

أبو العتاهية لم ينسَ مجتمعه ، غنيّه وفقيره ، فراح يرسل النصائح تلو النصائح ، ويدعونا إلى فعل الخير لأنفسنا وللآخرين ، وأن نكره لغيرنا ، ما نكرهه لأنفسنا ، أن نتجمّل بالحلم ، وبالصبر ، ونبتعد عن البغي والشر والأذى :

اكره لغيرِكَ ما لنفسِكَ تكْرَهُ،
وافعلْ بنفسك فِعل من يتنزّه

* * * *

وعن الوفاء يذم الشاعر أهل زمانه ، فيقول :

يا خليليّ! لا أذُمّ زماني، غير أنّي أذمّ أهل زماني

لستُ أُحصي كم أخٍ كان لي منهمْ، قليلَ الوفاءِ، حُلوَ اللسان

لم أجدْه مُؤاتيا، فتصدّقْتُ بحظّيّ منه على الشّيْطانِ

* * * *

فَوَلَهُ الشاعر بزاد التّقوى ، وكثرة أحاديثه عن الموت والآخرة ؛ تكاد كلّها تُغطّي معظم ديوانه ، ومع هذا فقد التفت الشاعر إلى أوضاع الرعيّة البائسة ، فراح يصفها ويقلّب طرفه في أوضاعها الإجتماعية ، والإنسانية ، فلم يجد سوى الخليفة مباشرة يحاكيه شجونها ، ويسكب في داره مرارة عيشها ، لعلّ الأماني والأحلام تتحقق . وقد اخترنا خير نموذج عند أبي العتاهية ؛ يصف به المعاناة الإجتماعية ، لنخصّه بالتحليل والنقد .

كتاب مفتوح إلى الخليفة

من إسماعيل بن القاسم والملقّب (بأبي العتاهية)

ـ أ ـ

مَــنْ مُبْــلِغٌ عــنّــي الإمــا   مَ نــصــائحــاً مُــتَــوالِيَــهْ
أنّـــي أرَى الأسْــعَــارَ أَسْـ   ـعــارَ الــرَّعــيَّــةِ غــالِــيَــهْ
وَأَرى الــمكَــاسِــبَ نَــزْرَةً   وَأَرَى الــضَّــرورَةَ فَــاشِيَــهْ
وَأَرَى غُــمــومَ الــدَّهْــرِ را   ئِــحَــةً تَــمُــرُّ وَجَــائِــيَــهْ
وَأَرَى الْــيَــتَــامَــى والأرا   مِــلَ في البيــوتِ الخَــالِيَــهْ
مِــنْ بــيــنِ رَاجٍ لــم يَــزَلْ   يــسْــمــو إلــيــكَ وَراجِــيَــهْ
يشكــون مَجْهَــدَةً بــأصـ   ـواتٍ ضِــعــافٍ عَــالِــيَــهْ
يَــرْجونَ رِفْــدَكَ كيْ يَــرَوا   مِــمّــا لَقَــوهُ الــعَــافِــيَــهْ

ـ ب ـ

مَــنْ يُــرْتَجى لــلنّــاسِ غيْـ   ـرُكَ لِــلْعُيُــونِ الــبــاكِيَــهْ
مِــنْ مُــصْــبِــيــات جُــوَّعٍ   تُــمسي وتُــصْــبِــحُ طــاوِيَــهْ
مَنْ يُــرْتَجَى لِــدِفَــاعِ كَــرْ   بِ مُلِمَّــةٍ هــيَ مــا هِــيَــهْ
مَــنْ لِلْبُــطونِ الــجــائِعــا   تِ وَلِلْجُســومِ الــعــارِيَــهْ

- ج -

يـا ابْنَ الخـلائِفِ لا فُقِـدْ تَ ولا عَـدِمْتَ العـافيَـهْ

إنَّ الأصـولَ الـطَّيِّبـا تِ لـهـا فـروعُ زَاكِـيَـهْ

أُلْـقَـيْـتُ أخْـبَـاراً إلَـيْـ ـكَ عَنِ الـرَّعِيَّـةِ شـافِيَـهْ

التحليل :

أ ـ لقد أغفل الشعراء صورة الشعب ، فقصدوا الأمراء والخلفاء يصفون مفاتن ومباهج المجد والأبهة والترف ، ويتملقونهم بالمدح ليظفروا بالعطاء .

أمّا أبو العتاهية فقد سلك سبل غيره ، فمدح ونال العطاء ، وأمعن كأسلافه في العبث والمجون . . . وأحب جارية المهدي ، ولكنه خاب الاصطياد ، فنفر من الدنيا ، وباع نفسه العابثة ؛ فاختطّ طريق الزهد ، وانزوى يجترّ الندامة ، ويعظ ، ويتطلع إلى ما حوله من الناس . . . الناس الذين طالما طلّقهم في ريعان شبابه . أبو العتاهية رَثَى حَالَة الناس البائسة ، ورفع صوتهم عالياً إلى الخليفة المسؤول الأوّل . وفي هذه القصيدة يصوّر أبو العتاهية حياة الأمّة ، حياة القاع من المجتمع ، فيتساءل قائلاً :

ألا من يكون رسولي إلى الخليفة ؟ فيحمل إليه أنباء الرعية ، مشفوعة بالنصائح تترى ، لعلها تبلغ سمعه ، فيصلح حال الناس ، ويهتم بأمورهم . إنَّ أحوالَ هؤلاءِ البائسين لملء

السمع والبصر . فإن كان الخليفة لم يرها فلا أقل من أن يسمع بها .

يا لهول ما رأيت ! لقد رأيتُ الفاقة قد عمّت ، والغلاء الفاحش قد تفاقم ، فأرهق البائع والشاري . . . فالأسعار غالية ، والمكاسب نزرة ، وويلات الدهر تتوالى ، والبيوت التي عدت عليها عوادي الدهر فاختطفت معيلها ، خلت من النعمة ، وبقي فيها الأيتام يتضورون الجوع والعطش ، والنساء الأرامل يتجرعن مرارة الحرمان ، فاتجهوا جميعاً إليك أيها الخليفة بقلوب ترجو لطفك وكرمك ؛ وألسنتهم تقرع القلوب ، أخمدها البؤس . . . أنهم ليرجون عطاءك لينهضوا من عثار الفاقة .

● لقد لاحظنا أنّ الشاعر قد تهيب ـ في البدء ـ من نقل أخبار الرعية إلى الخليفة مباشرة ، وكان على حق ، فقد اعتاد الخليفة أن يسمع قصائد الشعراء متملقة مادحة . فتساءل هل من رسول ينقل أخبار الرعية له ، وكانت هذه القصيدة هي الرسول الأحسن .

فقد حدّث الخليفة عن أحوال الرعية ، فليست بالشائعات والمبالغة ، بل هي حقيقة عاينها الشاعر ورآها وليست شائعة . ويورد أبو العتاهية الخبر خالياً من التنميق الشعري ، سوى بعض الطباقات التي وردت عفواً ، خالية من التكلّف ،

طبيعية ، تستكمل الفكرة وضوحاً وجمالاً .

ب ـ ويستطرد شاعرنا متسائلاً بإلحاح عن معين يغيث الناس ، فيقول : إنّ الناس في شقاء من حياتهم ، فمن يكون لهم المعين غيرك ؟ وأي مغيث سواك يغيث المعذّبين ؟ فالأمهات المرضعات يعتصرهن الجوع فيصبحن على ما أمسين من الجوع والحرمان ، فمن يكون لهن ؟ والمصائب تنزل في الرعية جساماً . وَمَنْ للبطون الجائعة ، وللأجسام العارية ، مَنْ يكسوها غيرك ؟ ومن لهم إلّاك . . . ؟ .

● لقد رأينا الشاعر في قسمه الأول من القصيدة يسوق أفكاره بلهجة هادئة ، ولكنه في القسم الثاني ؛ ينفعل ، فتهدج صوته ، وتغيّرت لهجته ، فإذا بالسؤال يتدفق بانفعال وينبعث من نفس تنضح ألماً ، وهياجاً ؛ فالعيون تبكي ، والأمهات بدون مأكل ، والأجسام عارية ، والبطون جائعة . . . إنّها المأساة ، مأساة الضعفاء من الشعب ، فهل مِنْ مغيث ؟ فمِنْكَ أيّها المسؤول الأوّل الجواب ، ومنك القرار .

ج ـ ثم يستثير الشاعر نخوة الخليفة لنجدة المعذّبين قائلاً : يا سليل الخلفاء الأكرمين دفع الله عنك الفتنة التي تنسيك الرعية ، وأبقى عليك القوّة ، فإن كان أجدادك كراماً فما أنت إلا الطيّب الكريم الأصل والفرع ، وها أنا قد حملت إليك أخبار المعذّبين والمحتاجين بصدق وأمانة ، لتشفقَ على مَنْ يحمل الشفقة . . . فهلّا فعلت ؟ .

● لقد وفّق أبو العتاهية في خاتمته ، فبعد أن عرض الجراح الأليمة ، التفت إلى الخليفة بالدّعاء له ، فرجا له الهدى ، ووفرة الصّحة ، . . . واستشار نخوته بتذكيره الأكرمين من أجداده ، وهو خير خلف لخير سلف ، وخير من أوفى بالعلاج والصلاح .

النقد

أ ـ يتمثّل الغرض الأدبي لهذه القصيدة بالوصف الإجتماعي ، ويكاد هذا اللون من الوصف أن يكون جديداً .

فالشعراء والأدباء كانوا يغرقون في قصور الخلفاء والأمراء ، فتبهر مفاتن البهجة أبصارهم ، ويغيب عامّة الناس عنهم ، وعن عطائهم الفكري ، ولا تكون حصّة المجتمع من العطاء إلاّ في القليل القليل .

كان الغنى والترف يشرقان في القصور العالية ، ومن حولها ، وكان الفقر والحرمان يجوسُ ديار الأمّة ، فيعاني منه المساكين ، والمعذبون ، ما يعانون .

وأبو العتاهية قد عاش لذّة القصور ، وتنعّم بالعطاء والهدايا ، ويوم عاد إلى الشعب هاله ما رأى من فقر وبؤس ومفاسد . كان في المجتمع آنذاك آفات كثيرة ، وكان أشدّها إيلاماً في نفس الشاعر آفة الفقر هذه ـ فالفقر هو أبو العلل والمصائب ـ فعرض الشاعر صوراً عديدة له . وجرّب أن يرأبَ

الصدع في كيان مجتمعه ، فلم يجد له سوى الخليفة يناشده النجدة والغوث .

فأبو العتاهية قد عالج موضوعاً من صميم عصره ، وأخذ معانيه من معين رؤيته ، وخلجاته ، وفكره .

فتناول الموضوع تناولاً مباشراً ، لم يقدم أو يستهل مطلعه بالغزل ، أو الوقوف على الأطلال ووصف الفلوات ، وكان هذا ثمرة من ثمرات العصر في التجديد الشعري ، والأخذ بروح العصر ، والابتعاد عن تقليد القدماء وترسمهم في معانيهم وصورهم وأساليبهم .

وما من شك في أن أفكار الشاعر قد جاءت تحمل سمة العصر العباسي ، وخاصة أنه أوردها هذا المورد البسيط الخفيف ، ولكنها كانت تحمل معاناة تجربته الفورية ، فبلغت القلوب ، ونفذت إلى مشاعرنا بيسر . .

والنص يحمل بين طياته عاطفة أبي العتاهية الإنسانية الحيّة . فكان صادقاً مخلصاً لعاطفته ونفسه ، نستمع منه الصرخة المدوّية كي يبلسم جراح أخيه الإنسان ، فانساق مع شدّة انفعاله ، حتى جاءت صوره متأجّجة تضطرم بالألم وتصطرخ بالمشاعر الحيّة .

لم يطلق أبو العتاهية العنان لخياله ، فكان فيه واقعياً بعيداً عن الوشي والتلوين ، يرتبط بالبيئة ارتباطاً مباشراً . ويسترسل

مع طبيعة موضوعه ، فيستعين بأقـرب الألفاظ التي تعبّـر بيسر عن فكرته ، وتُلفت نظرنا لا لغرابتها ، بل لاستدراكها .

فالشاعر يسوق الخبـر ويكرّر أنـه رآه ، وليس كما يُشـاع ، فيـورده بسيطاً كبسـاطة الشعب ، يبتعـد عن التنميق الشعـري الذي رأيناه في أساليب الشعراء القدامى .

فالأسعار غالية ؟ والبيوت خالية ؟ والجسوم عارية ، والعيون بـاكية . . . إنهـا عبارات عـادية من صميم الحيـاة الشعبيـة ، ولكنها مؤلمة ، تبعث الشفقة والحسرة . . . إنّهـا تطلب حـلاً سريعاً ، ودواء مستعجلاً شافياً . . . والدواء هـو عند الحـاكم الأول ؛ الخليفة (الرشيد) .

أما الألفاظ فقد ائتلفت في تراكيبها ، فجاءت خفيفـة حلوة لطيفة الجرس ، وانسجمت مع إيقاع الوزن العروضي من تأثير روح العصر الذي شاع فيه الغنـاء ، وشاع فيـه الترف والخفـة والرشاقة . أما الطباقـات التي وردت فهي عفويـة ، لا نلمس عند الشاعر جهداً في التكلّف ، والتـأنق والزخـرفة ؛ ففكـرته واضحة جلية ، خـرجت من بيوت الشعب الفقيـر ، وتكلّمت لغتـه بعيـداً عن اللغـة الارستقـراطيـة التي تخـاطب الملوك والأمـراء . وإنْ كانت مـرسلة للخليفة ؛ فـإنها حـافظت على موضوعها الإجتماعي . . . حتى جاءت قصيدة تخاطب جميع العصـور ، ما دام هنـاك غنيّ مُترف ، وفقيـر مدقـع ، وقصـر شامخ ، وكوخ هزيل .

أبو العتاهية
يطرق الأغراض الشعرية التقليدية

أبـو العتاهيـة طـرق أبـواب الشعـر التقليـديـة من مـدح ، وهجاء ، ورثاء ، وغزل . ولكنّه لم ينجب شعراً كثيراً في هذا الميدان بسبب عكوفـه على شعر الـزهد ، ووقـوفه عليـه دون غيره . ونختصر ما جاء عنده من شعر تجديدي بالنقاط التالية :

١ ـ المدح

يُعدُّ أبو العتـاهية شـاعراً متكسِّبـاً بما صـدر عنه من مـدحٍ للخلفاء والأمراء ، وذلك في بداية حياته كما يظهر من ديـوانه الشعري .

فلمـا عقد الـرشيـد ولايـة العهـد لبنيـه الثـلاثـة : الأمين ، والمأمون ، والمؤتمن ، قال أبو العتاهية :

رَحَلَتْ عن الـرَّبـعِ المُحيـلِ قَعُـودِي
إلـى ذي زُحـوفٍ جـمّـةٍ وجُـنُـودِ[١]

---

(١) أبـو الفرج الأصبهـاني : الأغاني ج ٤ ، ص : ١١٠ . الـزحوف : جمع زحف وهو الجيش الكثير ـ قعودي : الناقة .

وراعٍ يُراعي الليل في حفظ أمَّةٍ
يُدافع عنها الشرَّ غير رقُودِ(1)
بألويةٍ جبريلُ يَقْدمُ أهلهَا
ورايات نصْرٍ حولَهُ وبُنودِ
تجافى عَنِ الدُّنيا وأيقن أنَّها
مُفارقَةٌ ليست بدارِ خلودِ
وشدّ عُرا الإسلامِ منه بفتيةٍ
ثلاثةِ أملاكٍ وُلاةِ عُهُودِ
هُمْ خيرُ أولادٍ، لهُمْ خيرُ والدٍ
لهُ خيرُ آباءٍ مَضَتْ وجُدود
بنو المصطفى هارونَ حولَ سريره
فخيرُ قيامٍ حوله وقُعودِ
تقلّبُ ألحاظَ المهابةِ بينهم
عيونُ ظِبَاءٍ في قلوبِ أُسُودِ
جُدودُهمُ شمسٌ أتتْ في أهِلّةٍ
تندَّت لِرَاءٍ في نُجومِ سُعودِ(2)

(1) الرقود : المتنعم .

(2) جدودهم : حظوظهم جمع جد ـ سعود النجوم : عدة كواكب ، ويقال لكل منها سعد ومنها سعد السعود .

وقيل : لقد وصله الرشيد بصلةٍ ما وصل بمثلها شاعـراً قطُّ على هذه القصيدة التي يظهر لنا أن الشاعر قد بدأها على عادة الأقدمين بذكر الناقة والرحيـل عليها ، ومن ثمّ انتقـل إلى ذكر الجيوش الجرّارة ، وقائدها ؛ قائد الأمّة الـذي يسهر الليـل ، ليدفع الظلم عنها . فهـذا جبريـل أحد مـلائكة السمـاء يتقدّم ألوية جيشه مع رايات النصر المبين . والرشيد يغتـر بدنيـاه ، لأنه أيقن أنّها زائلة ، فراح يشدّ عُرى الإسلام بفتيته الثلاثة خير أولادٍ لخير والدٍ ، ومن نسب عريق بجدوده الأوفياء . فهم أهل المصطفى تنظر إليهم بمهابة وإجـلال . عيونهم عيـون عطف وحنان ، وقلوبهم قلوب أسود عـظام . هـم شمس سطعت في قومهم ، فظهرت للناظرين في أيام حلوةٍ بهيـة . فالشـاعر قـد تهيّب في مدح الرشيد وأولاده عن ذكر راحلته التي أقلّته إليه ، ولم يقف عندها طويلاً فانتقل إلى مخاطبة الممدوح ، فإذا به فجأة أمام حامي ديار الأمّة ، ورافع رايات النصر لها . الوارث للمكارم ، والسائر على دروب العزّ والشرف والمجد . الرشيد وأولاده ، خير خلف لخير سلف ، بنو المصطفى (سلالة النبي العربي محمّد عليه أفضل الصلاة والسلام) الذين هم شمس أنارت للناس سُبُل الكرامة والنصر . وهكذا دخل الشاعر قلب الرشيد فكرّمه ، وقرّبه إليه ، وأجازه العطاء الكريم .

وعن أبي الفرج الأصبهاني في أغانيه جاء : أنّ الرشيـد لمّا أطلق الشاعر من السجن ، لزم الأخير منزله ، وقطع الناس ،

فذكره الرشيد ، فَعُرِّفَ خبره ، فقال : قولوا له : صرت زير نساء ، وحِلْسَ بيت ؛ فكتب إليه أبو العتاهية[1] :

برمتُ بالنّاسِ وأخلاقِهم
فصرتُ أستأنس بالوحدهْ
ما أكثر النّاسَ لعَمْري وما
أقلّهم في منتهى العِدّهْ

ثم قال : لا ينبغي أنْ يمضي شعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مدح له ، فقرن هذين البيتين بأربعة أبيات مدحه فيها ، وهي :

عاد لي من ذِكرِها نَصَبُ
فدموعُ العين تنسكبُ[2]
وكذاك الحُبُّ صاحبُهُ
يعتريه الهمُّ والوَصَبُ[3]
خيرُ مَنْ يُرجى ومن يَهب
ملكٌ دانت له العربُ

---

(١) الأغاني ج ٤ ، ص : ١١١ ـ زير نساء : الذي يكثر زيارة النساء ويحب مجالستهن ومحادثتهنّ ـ حلس بيت : يلازم البيت لا يبرحه .
(٢) النصب : التعب .
(٣) الوصب : المرض والوجع .

وحـقـيـق أنْ يُـدَانَ لـه
مَـنْ أبـوه لـلـنبـيّ أبُ

فالشاعر يعرف بواطن الإعجاب عند الخليفة ، فيمدحه بما هـو أهله ؛ فمن نـسب عـالي الشمم ، ومن مـركـز دانت لـه العـرب ، إلى عطاء الله سبحـانه إيّـاه الحكم ، فصغّر عـظيم الشيء بين يديه ، وهـوّن الدنيـا لديـه ، فبغّضه إيّـاها ، حتى هانت عليه .

فعن الأغـاني جاء : أنّ أبـا العتاهيـة دخـل على الـرشيـد وأنشده ، لينال عطاءه ، فقال :

اللّهُ هـوّن عـنـدك الـدّنيـا وبـغّـضـهـا إلـيـكـا
فـأبـيـتَ إلاّ أن تُـصَـغّـر كـلّ شيء في يـديكـا
مـا هـانـتِ الـدّنيـا عـلى أحـدٍ كمـا هـانت عـليكـا

فقال له الفضل بن الربيع : يا أميـر المؤمنين ، ما مُـدِحَتِ الخلفاء بأصـدق من هذا المـدح ، فقال : يـا فضل ، أعْـطِه عشرين ألف درهم ، فغدا أبو العتاهية على الفضل فأنشده :

إذا مـا كـنـت مـتّـخـذاً خـليـلا
فمثـلُ الفضـل فـاتّـخِـذِ الخـليـلاَ
يـرى الشُّكْـرَ القليـل لـه عـظيمـا
ويـعـطي من مـواهـبـه الـجـزيـلا

أراني حيثما يمّمت طرْفي
وجدتُ على مكارمه دليلا[1]

ومما جاء عنه في مدح الرشيد ، قوله :

إمام له رأي حميدٌ، ورحمةٌ،
مواردُهُ محمودةٌ، ومصادرُه
وهارون ماءُ المزن يشفي من الصّدى
إذا ما الصّدى بالرّيق غصّت حناجره[2]

* * * *

وقال أيضاً :

يا بني العباسِ فيكم مَلِكٌ
شعَبُ الإحسانِ عنه تفترقْ
إنما هارونُ خيرٌ كلّهُ،
قُتِلَ الشرُّ بِهِ يومَ خُلِقْ

* * * *

يا مَنْ تَبَغّى زَمَناً صالِحاً
صلاحُ هارونَ صلاحُ الزّمَنْ

---

(١) الأغاني ج ٤ ، ص : ٧١ ـ يممت طرفي : وجهت بصري .
(٢) الصدى : العطش ، والصدي : العطشان .

كُـلُّ لـسـانٍ، هُـوَ فـي مُـلكِـهِ،

بـالشُّكْـرِ، في إحسـانـه، مُـرْتَـهَنْ

* * * *

ولمـا غزا الـرشيد نقفـور ملك الروم ، فـانقاد إلى الـرشيد وحمّله الأموال والهدايا والضريبـة ، فقال أبـو العتاهيـة يهنىء الرشيد :

إمـام الهُـدَى أصبحتَ بـالـدِّينِ مَعنيًّـا

وأصبحتَ تسقي كـلَّ مُستَمـطرٍ ريّـا

لك اسمانِ شُقّـا من رَشادٍ ومن هـدًى،

فـأنتَ الـذي تُـدْعَى رشيـداً، ومهـدِيّـا

ووشّيتَ وجهَ الأرضِ بالجـودِ والنّدى،

فـأصبح وجـهُ الأرضِ بالجـودِ مغشِيّـا

تجلّلَتِ الـدّنْيـا لهـارونَ ذي الـرّضَـا،

وأصبـحَ نِقْفُورٌ ، لـهـارونَ، ذمّيّـا[1]

هذه الأبيات تظهر لنا أن الشاعر قد امتطى صروح العزّ في هيجان داخلي ، وكان مبعثه الشرف العربي ، ونشوة الانتصار على أعداء الإسلام . فحُقّ له أنْ يمدحَ الخليفة الرشيد بما هو أهله ، وأن يجود في سخاء مدحه بما يخلّد ذكرى المعركة ،

---

(١) ديوان أبي العتاهية ، ص : ٤٨٩ .

معركة الحق والنور والهداية ، ضد الطغيان والتسلّط .

فالرشيد غمائم تسقي ، ورشاد وهدى للعالمين ، أمدّنا بالعُلى ، والجود ، والندى ، فأصبح وجه الأرض مغشياً بعزائمه وخيراته ، فهو قد حقّق ما قضى الله ، فتجلّلت الدنيا له ، وأصبح نقفور ملك الروم في ذمّته ، وتحت راية النصر المبين .

مدحه للهادي :

حدّث عمر بن شبة قال : كان الهادي واجداً على أبي العتاهية لملازمته أخاه هارون في خلافة المهدي ، فلما ولي موسى الهادي الخلافة قال أبو العتاهية بمدحه :

يضطرب الخوف والرّجاءُ، إذا
حرّكَ موسى القضيب، أو فكّرْ[1]
مَنْ مِثلُ مُوسَى ومثلُ والدِهِ الـ
ـمهدِيّ أو مثلُ جَدِّه جَعْفرْ

وقيل : إنه دخل على الهادي بعد أن رضي عنه لمدحه إياه ، فأنشده :

(١) القضيب : أراده صولجان الملك ـ الديوان ، ص : ٢١١ .

لهفي على الزَّمَنِ القصيرِ،
بين الخَوَرْنَقِ والسَّديد[1]
إذْ نحنُ في غُرَفِ الجنا
نِ، نعومُ في بحرِ السّرورِ
وإلى أمينِ الله مَهْرَبُ
نَا مِنَ الدَّهْرِ العَثُورِ

* * * *

مدحه للمهدي :

ويبالغ الشاعر في مدحه للمهدي ، فيجعل المنايا طائعات سامعات له ، يوجّهها لمن شاء من الطغاة ، فيقول :

علم العالَمُ أنّ المنايا
سامعاتٌ لك، فيمَنْ عَصَاكَا
فإذا وجّهتَهَا نحو طاغٍ
رجعت ترعف منه قَنَاكَا[2]
ولو أنّ الريح بارتك يوماً،
في سماحٍ ، قصُرت عن نَداكَا

---

(١) ديوان أبي العتاهية ، ص : ٢١٢ (الخورنق والسدير : قصران كانا بالحيرة) .

(٢) السابق ، ص : ٣١٨ . (ترهف : تسيل دماً) .

وهي طويلة ذكر فيها أمراً كان يرغبه ، وهو يسوء على الخليفة . فقال له المهدي : إن شئت أدبناك بضرب وجيع لإقدامك على أمر لم يحسن عندي ، وأعطيناك ثلاثين ألف درهم جائزة على مدحك لنا ؛ وإن شئت عفونا عنك فقط . فقال : بل يضيف أمير المؤمنين إلى كريم عفوه جميل معروفه ، ومكرمتان أكثر من واحدة ، وأمير المؤمنين أولى من شفّع نقمه وأتمّ كرمه . فأمر له بثلاثين ألف درهم وَعَفَا عنه .

ومما يُروى عنه من مدح للمهدي ؛ حدث ابن عمار قال : جلس المهدي للشعراء يوماً فأذن لهم وفيهم بشار وأشجع وكان أشجع يأخذ عن بشار ويعظمه . وكان في القوم غير هذين أبو العتاهية . قال أشجع : فلما سمع بشار كلام أبي العتاهية قال : يا أخا سليم أهذا ذلك الكوفي الملقّب؟ قلت : نعم قال : لا جزى الله خيراً من جمعنا معه ، ثم قال له المهدي : أنشد . فقال :

ويحك أو يستنشد أيضاً قبلنا ؟ فقلت : قد ترى . فأنشد :

ألا ما لسيّدتي، ما لها؟ أدلّتْ، فأجمل إدلالُهَا

وإلّا ففيم تجنّتْ، وما جَنَيْتُ سَقَى اللَّهُ أطلالَها

* * * *

قال أشجع : فقال لي بشار : ويحك يا أخا سليم قاتل الله أبا العتاهية حيث قال مثل هذا القول السخيف ! والخليفة

يسمع ذلك بأذنه . حتى أتى أبو العتاهية على قوله :

أَتَتْهُ الخِلَافَةُ مُنْقَادةً
إليهِ، تُجرِّرُ أَذْيَالَهَا

ولم تَكُ تَصْلُحُ إلاّ لَهُ،
ولم يَكُ يصلُحُ إلاّ لها

ولو رامها أحدٌ غيرَهُ،
لَزُلْزِلَتِ الأرضُ زلْزالَهَا

ولو لم تُطِعْهُ بناتُ القلوبِ،
لما قَبِلَ اللَّهُ أعْمَالَهَا

وإنّ الخليفَةَ مِنْ بُغضِ لا
إليهِ، ليُبغِضُ من قالَهَا

* * * *

قال أشجع السلمي : فقال لي بشار بن برد وقد اهتز طرباً : ويحك يا أخا سليم أترى الخليفة لم يطر عن فراشه طرباً لما يأتي به هذا الكوفي[١] .

ومن جميل شعره ، وأحسنه أسلوباً ورقة وعذوبة ؛ مدحه المهدي بقصيدة يقول فيها :

---

(١) ديوان أبي العتاهية ، ص : ٣٧٥ الأغاني ٤/٣٧ .

عـليـه تـاجـان، فـوق مـفـرقِـهِ
تـاجُ جَـلالٍ، وتـاجُ إخْـبـاتِ[1]
يـقـول لـلرّيـح كـلّمـا عَـصَـفَـتْ:
هـل لـكِ، يـا ريـحُ، في مبـاراتي
مَنْ مثـل من سـادَ أعمامـه، ثم من
أخـوالُـهُ أكـرم الـخـؤولاتِ

* * * *

٢ ـ الغزل

يكاد يقتصر غزل الشاعر على عتبة إحدى جواري الخليفة هارون الرشيد ، وقد طلب يدها منه ، وحالت الظروف أن يتزوّج منها ، بعد أن رفضت طلبه .

ويأخذ النقّاد عليه هذا الأمر ، ويتّخذونه عاملاً أساسياً في تزهّد الشاعر بعد فشله .

فشعره فيها يكاد متفرّداً من نوعه ، فهو متيّم ، هائم ، ولهان ؛ يشكو لواعج النفس ، ويفرط في حبّه حتى العذاب :

ولقـد حبـوتُ إليـك، حتى صـار مِنْ فـرْط التّصـابي
يـجـدُ الجـليسُ، إذا ادنَـا، ريـحَ التّصـابي في ثيـابي

(١) الإخبات : التواضع . (السابق ، ص : ١٠٣) .

وقال :

أَمَا رَحِمَتني، يومَ ولَّتْ، فأسرعتْ
وقد تركتْني واقفاً أتلفَّتُ
أقلِّب طرفي كي أراها، فلا أَرَى،
وأُحْلُبُ عيني درَّها، وأُصَوِّتُ

وقال أيضاً يتغزل بعتبة وقد سماها عتابة ، فإذ هي دمية في يد قسّ فتنته ، فلم ينسها الشاعر حتى لو أسكنه الله جنة الفردوس ؛ وقد اتّهم أبو العتاهية بسببها بالزندقة لأنه تهاون بالجنة وابتذل ذكرها ، فيقول :

كأنّ عُتَّابةَ من حُسْنِها
دُمَيَةُ قسّ فتنتْ قسّها
يا ربّ لو أنْسَيْتَنيها بمَا
في جنَّةِ الفرْدوسِ لم أَنْسَهَا[1]

وإذا ذكر حُبَّ عتبة ، يطغى عليه هذا الحبّ ، فيحسبه يجري في دمه ، وفؤاده منه كمد مريض ، يفشل الطبيب في معالجته ؛ لأنّ دواءه عند عتبة ، فيتمنى الموت ليرتاح من هذا العناء :

أحمدُ قال لي ولم يدرِ ما بي :
أتحبُّ، الغداة، عُتْبَةَ حَقّاً؟

---

(١) ديوان أبي العتاهية ، ص : ٢٣٤ .

فَتَنَفَّسْتُ ثمّ قلتُ: نعم! حبّاً
جرى في العروق عرقاً، فعِرْقَا
قد لَعَمري، ملّ الطبيب وملّ الـ
أهلُ منّي، مما أُقاسي وألقى
ليتني مُت، فاسترحتُ، فإنّي،
أبداً، ما حَيِيتُ، منها مُلَقّى[1]

ويذكر أنه أطلّ عليها وسُحُب مدامعه تستهل، فشكا إليها ولعه بها ، بحيث كلّ الناس تَعلم هذا الأمر ؛

أعْلمتُ عتبة أنّني منها، على شرف، مُطِلٌّ
وشكوتُ ما ألقى إليها والمدامعُ تستهلٌّ
حتى إذا برِمَتْ بنا أشكو كما يشكو الأقلٌّ
قالتْ: فأيُّ النّاسِ يعْـ ـلمُ ما تقولُ؟ فقلتُ: كلٌّ

لقد حوّله حبُّ عتبة إلى قتيلٍ يبكي على قاتله ، وَيَصْرَخُ بملء فمه أنّ الهوى قاتله ، وأنه سيلبس الأكفان عن قريب ، فلا لوم عليه ، ما دامت عيناه منهلّة ، وحبيبته درّة جاء بها البحر إلى السّاحل ، فهي إحدى سواحر بابل ، قتلته وجدا .

فلم يبق للشاعر إلا أن يتوجه للناس ، ليبسط كفّه لهم ،

---

(١) الملقى : الممتحن الذي لا يزال يلقاه مكروه .

يطلب الحسنة فإنْ لم يعطفوا عليه ، فلتكن الكلمة الجميلة لهذا الضعيف الهزيل :

يا اخوتي! إنّ الهوى قاتِلي،
فبشّروا الأكفان من عاجِلِ

ولا تلوموا في اتّباعِ الهوى،
فإنّني في شُغُلٍ شاغِلِ

عيني على عتبةَ مُنهلّةٌ،
بدمعِها المنسكِبِ السّائِلِ

كأنّها، من حسنها، دُرّةٌ،
أخرجها اليمُّ إلى السّاحِلِ

كأنّ، في فيها وفي طرفها،
سواحراً أقبلنَ من بابِلِ

يا من رأى قبلي قتيلاً بكى،
من شدة الوجدِ، على القاتِلِ

بسطت كفي نحوكم سائلاً،
ماذا تردّون على السّائِلِ؟

إن لم تُنيلوهُ، فقولوا له
قولاً جميلاً بدل النّائِلِ(١)

* * * *

(١) ديوان أبي العتاهية ، ص : ٣٨٦ .

ويخاطب حبيبته عتبة بدينها أن تجيبه ، فقلبه بها رهين ، شقيّ ، بائس ، مسكين ، فأين المهرب منها بعد أن قيدته ، وسجنته في هواها :

يا عتبُ سيدتي! أما لك دينُ؟
حتى متى قلبي لديك رهينُ؟
وأنا الذّلولُ لكلّ ما حمّلتِني ؛
وأنا الشّقيّ البائس المِسكينُ
يا عُتْبُ! أين أفرّ منكِ، أميرتي!
وعليّ حِصْنٌ من هواكِ حَصِينُ

* * * *

وإذا ما تعرضنا لنقد أبي العتاهية في زفرات حبّه ، فإنّنا معه كما أنهى حبّه بخير ما توصّل إليه ، من عبق الغزل ، فقال :

رأيتُ الهَوَى جمرَ الغضَا، غيرَ أنّهُ،
على كلّ حالٍ، عندَ صاحِبِهِ حُلْوُ

٣ ـ الرثاء

لأبي العتاهية خلّان أوفياء ، تركوا الحياة الدنيا ، فرثاهم الشاعر في مقطوعات شعرية سهلة اللفظ ، يعتمد خلالها على مظاهر الحياة الدينية الإسلامية ؛ من غفران ، وفناء ، وحساب ، فيستعين بالله ويستغفره سبحانه تعالى على تعاظم المصاب . فمن رثائه قوله في صديقه علي بن ثابت :

مـؤنِسٌ كـان لـي هَـلَكْ، والـسَّبـيـلُ الـتـي سَـلَكْ
يـا عـليّ بـنَ ثـابِـتٍ، غَـفَـرَ الـلَّهُ لـي وَلَـكْ
كـلُّ حـيٍّ مُـمَـلَّكٍ، سـوف يـفـنـى ومـا مَـلَكْ

* * * *

وقال يرثي سعيد بن وهب :

مـاتَ والله سـعـيـدُ بـنُ وَهْـبِ،
رحِـمَ الـلَّهُ سـعـيـدَ بـنَ وَهْـبِ
يـا أبـا عـثمـانَ أبـكيـت عيـني؛
يـا أبـا عـثـمـانَ أوْجـعـتَ قـلبـي

* * * *

وهـذا الرثـاء لم نجد فيـه توهّـج المصـاب ، بعكس رثـاء الشاعر لابنة المهدي ، والذي نال به عن كل بيت شعـر ألف درهم ، فهو يتساءل عن بلاء كل غض جديد ، ويوجّه حكمـه للخليفة الذي سلا الحبيب ، وسيسلا الناسُ موته بعد حين ، فكلّ نعيم سيزول ، فعلى الخليفة أن لا يغترّ بالدّنيـا ، فحيلة الموت هي الأعمال الصالحة دون سواها ، يقول أبو العتاهية :

مـا للجـديـدينِ لا يبْلَى اختـلافُهُمـا،
وكُـلُّ غضٍّ جـديـدٍ فـيهـمـا بَـالِ
يـا من سـلا عن حبيبٍ بعـد ميتتـهِ،
كَمْ بعـد موتـك أيضاً عنـك من سـالِ

كـأنّ كـلّ نـعيـمٍ أنـت ذائـقُـهُ،
من لـذّة العيش، يحكي لـمعـة الآل
لا تلعبنّ بـك الـدّنيـا، وأنت تـرى
مـا شئـتَ مِنْ غـيـرٍ فيـهـا وأمـثـال
مـا حيلةُ المـوتِ إلاّ كـلُّ صـالحـةٍ،
أو لا فـمـا حيـلةٌ فيـهِ لِـمخْـتَـالِ[1]

ويحق للشـاعـر أن يـرثي الأصمعي صـاحب المجـالس الأدبية ، والعلمية . فقد كان نجماً للعلم ، له في كل صالحةٍ سهم ، فيقول فيه :

أسفتُ لفقـدِ الأصمعّي، لقـد مـضى
حميـداً، لـه في كـلّ صـالحـةٍ سهمُ
تقضّتْ بشـاشـاتُ المجـالسِ بعـدهُ،
فلمـا انقـضت أيـامُـهُ أفـل الـنّجـمُ

وقال يرثي أبا غانم حميد بن حميد الطوسي ، فلم يتفجّع الحزن ، وإنما جاء بحكم ، كما ظهر في زهد زهدياته :
أبـا غـانِـمٍ ، أمّـا ذُراكَ فـواسـعٌ،
وقـبـرُكَ معـمـورُ الجـوانـب مُحـكَمُ

(١) ديوان أبي العتاهية ، ص : ٣٤٨ .

ومـا ينفـع المقبـورَ عمـرانُ قبـره،
إذا كـان فـيـه جسـمُـهُ يتـهـدّمُ

* * * *

وعن محمد بن موسى قال : كان أبو العتاهية صديقاً لأبي العباس زائدة بن معن الذي لم يعن أخويه عليه ، فلما مات رثاه الشاعر بقوله :

حـزِنْـتُ لمـوتِ زائـدة بـنِ معْـنِ،
حـقـيـقٌ أن يـطولَ عـليـه حـزنـي
فـتى الـفـتيـانِ زائـدةُ الـمـصفّى،
أبـو الـعبـاسِ كـان أخي وخِـدْني
فـتـى قـومـي وأيّ فـتـىً تـوارتْ
بـه الأكـفـانُ تـحـت ثـرًى ولِـبـنِ

* * * *

وحتى لا يُشكُّ في حزنه على الفقيد ، بسبب علاقته السّيئة مع عائلة معن ، ذكّر بأنّه كان صديقاً وخدناً له ، فيحق له الحزن الطويل بعد أن توارى تحت الثرى ، فراح يسائل القبر ليجيبه فلم يجبه ، وهل تجيب الأموات .

ولقد أجاد أبو العتاهية في رثائه صديقه علي بن ثابت حيث وقف على قبره يبكي طويلاً أحرّ بكاء ، ويردّد : ألَا مَنْ للأنس

بعدك ، فأنت الذي كنت أبثّه ما في نفسي ، والآن قد طوتك الخطوب ، فلو نشرت قواك المنايا ، لشكوت إليك خلجاتي ، وما صنعت بي منيتك ، فإنّي بكيتك بدمع العين الذي لا يُغني ، قد كنتَ في حياتك لي عظة ، واليوم أنت أوعظ في مماتك :

ألا مَنْ لي بأُنْسِكَ، يا أُخيّا،
ومَنْ لي أنْ أبُثّكَ ما لديّا
طوتْكَ خطوبُ دهرِكَ بعد نشرٍ،
كذاكَ خطوبُهُ نشْراً وطيّا
فلو نشرتْ قُواكَ ليَ المنايا،
شكوتُ إليك ما صنعت إليّا
بكيتك، يا عليّ، بدمعِ عيني،
فما أغنى البكاءُ عليكَ شَيّا
كفى حزناً بدفنِك، ثمّ إنّي
نفضتُ ترابَ قبرِكَ من يَدَيّا
وكانت في حياتِكَ لي عظاتٌ،
فأنت اليوم أوعظ منك حيّا

وقيل أنّ أبا العتاهية أخذ هذه المعاني من كلام الفلاسفة لما أحضروا تابوت الإسكندر ، وقد أخرج الإسكندر ليدفن . قال بعضهم : كان الملك أمس أهيب منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ

منه أمس . وقال آخر : سكنت حركة الملك في لذاته وقد حَرَّكَنَا اليوم في سكونه جزعاً لفقده . وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما أبو العتاهية في هذه الأشعار[1] .

٤ ـ الهجاء

لم يُكْثِرْ أبو العتاهية في الهجاء ، وذلك لالتزامه في مخاطبة الدنيا ، ورؤيته للآخرة ، وحديثه عن الموت ، وصفحات القرون الماضية . فجاءت الحكم والأمثال ؛ لتحتلّ أكثر إنتاج الشاعر غزارة ، ونفاذاً إلى قلوب البشر .

فمن الذين هجاهم الشاعر (والبه بن الحباب ؛ الشاعر الذي هجا أبا العتاهية) فقال أبو العتاهية يهجوه :

أوالبَ! أنتَ في العرب، كمثل الشّيْصِ في الرُّطَبِ[2]
غضبت عليك ثم رأيـ ـتُ وجْهَكَ، فانجلَى غَضَبِي
فَقُلْ ما شِئْتَ أَقْبَلُهُ، وإنْ أطنبتَ في الكَذِبِ
لقد أُخبِرتُ عنك وعَنْ أبيكَ الخالِصِ العَرَبِ
فقال العارِفُونَ بِهِ: مُصاصٌ غيرُ مُؤتَشَبِ[3]
أتانا من بلاد الرّو م أطلسَ غيرَ ذي نَشَبِ

---

(١) ديوان أبي العتاهية ، ص : ٤٩٢ .
(٢) ديوان أبي العتاهية ، ص : ٦٦ (الشيص : تمر رديء . الرّطب : ما نضج من اليسر قبل أن يصير تمراً) .
(٣) المصاص من الشيء : خالصه وسره . المؤتشب : المختلط .

أراك وُلِدْتَ بالمِرِّيـ ـخ يا ابنَ سَبائكِ الذَّهَبِ

فالشاعر يشبه والبه بالتمر الرديء إذا خالط الرُّطَب ، فهو كذلك بين العرب ، وإذا ما افتخر ، وهجا ، وذكر أجداده ، أطنب في الكذب ، فالعارفون به يدرون أنه (أي والبه) مختلط في حسبه ، أتى من بلاد الرّوم من دون حسب ، ويلجأ الشاعر إلى ظاهرة السخرية التي تجلّت في هذا العصر ، فيراه أنّه وُلِدَ في المرّيخ ، وأنّه ابن سبائك الذهب .

وقال يهجو عبد الله بن معن بن زائدة وقد جعله امرأة ، وأمعن في هجائه وأسفّ حتى سيطرت عنده السخرية اللاذعة ، بعد أن جعله جارية تكنى أبا الفضل ، فيقول :

قال ابنُ معنٍ، وجَلاَ نفسَهُ
على القرابينِ مِنَ الأهْلِ[1]
أنا فتاةُ الحيّ من وائلٍ،
في الشّرف الباذِخِ والنُّبْلِ
ما في بني شيبانَ، أهلِ الحِجَى،
جاريةٌ واحدةٌ مِثْلي[2]

---

(١) ديوان أبي العتاهية ، ص : ٣٨١ . (القرابين : الواحد قربان : جليس الملك الخاص) .

(٢) الحجى : العقل .

يُكنى أبا الفضل، فيا من رأى
جاريةً تُكنى أبا الفضلِ

وهجا الدنيا ، فقال :

خُتُوفُها رَصَدٌ، وعيشُها نكدٌ،
ورغُدها كمدٌ، ومُلكُها دوَلُ

* * * *

دار بُليتُ بحبّها خوّانةٌ لمحبّها

* * * *

وهجا الناس ، فقال فيهم :

لم يعملِ الناسُ في التصحيحِ بينهمُ،
فاضطرّ بعضُهُمْ بعضاً إلى الخُدع

* * * *

اشتدّ بغيُ النّاس في الأرضِ ،
وعُلُوُّ بعضِهم على بعضِ

* * * *

أرى قوماً يتيهون، بهاماً رُزِقُوا جَاهَا

أبو العتاهية في سطور

أ ـ لزم أبو العتاهية المخنثين من شباب الكوفة ، ولبس ملابسهم[1] وانتظم في سلك المُجّان من أمثال مطيع بن إياس .

اتفق مع إبراهيم الموصلي مغني المهدي والرشيد ، ورَحَلاَ إلى بغداد ، غير أن الأبواب فيها لم تفتح له ، فعاد أدراجه إلى الحيرة[2] ، وتعلّق بجارية لبني معن بن زائدة ، ولكنّه لم يفلح في الزواج منها .

استدعاه إبراهيم الموصلي ووصله بالمهدي فمدحه ونال جوائزه . أحبّ جارية من جواري القصر هي (عُتْبة) وتغزّل فيها غزلاً كثيراً . . . وحالت الظروف في زواجه منها[3] .

ولا يمضي زمن طويل في عهد الرشيد ، حتى انتهج أبو العتاهية نهجاً جديداً ؛ فتنسك ولبس الصوف وزهد وترك

---

(١) الأغاني ٤/٧ .

(٢) الأغاني ٤/٤ .

(٣) طبقات ابن المعتز ، ص : ٢٣٠ ، زهر الآداب ٢/٣٥ .

المنادمة والقول في الغزل ، ويحضره الرشيد ويأمره أن يعود إلى ما كان عليه ، فامتنع ، فأمر بضربه وحبسه[1] .

وعطف عليه الرشيد وأطلق سراحه ، بعد أنْ نُقل عن أبي العتاهية قوله :

أما والله إن الظلم لوم
وما زال المُسيء هو الظَّلومُ
إلى ديّان يوم الدين نمضي
وعند الله تجتمع الخصوم.

ب ـ انقبض أبو العتاهية عن الدنيا وغشيته سحابة من الحزن ، وكان الرشيد يستريح له ، وبعده المأمون يقرِّبه ويستحسن شعره . وواضح أنَّ انقلاباً هزَّ كيان الشاعر ، فتحوّل من اللهو والمجون إلى الزهد ، وكاد يقصر شعره على هذا النمط الجديد ، كما أخذ ينفي عن نفسه تهم الزندقة ، فيقول :

ألا إننا كلنا بائدُ
وأي بني آدمٍ خالدُ
وبدؤهم كان من ربِّهم
وكلٌّ إلى ربِّه عائد

---

(١) الأغاني ٤/ ٥١ .

فيا عجباً كيف يُعصى الإلـ
ـهُ أم كيف يجحده الجاحدُ
وفي كل شيء له آيةٌ
تدلّ على أنه واحد

وتشغل فكرة الموت ومصير الإنسان معظم ديوانه ، والذي يسيطر عليه الأسلوب السهل العذب ، واللغة اليومية الشعبية التي عاصرها أبو العتاهية ؛ حيث ابتعد عن ضخامة البناء وما ينطوي عليه من أسلوب جزل رصين ، فجاء شعره متوازياً في صوره الفنيّة إنْ من رثاء وغزل ومدح وهجاء أو حتى في زهده .

ففي مديحه للمهدي نسمعه ، يقول :

أتتْه الخلافة منقادةً إليه تجرّرُ أذْيالها
ولم تك تصلحُ إلا له ولم يك يصلحُ إلا لها
ولو رامها أحدٌ غيره لَزُلْزلتِ الأرضُ زلزالها

فهذا الأسلوب السهل الرقيق ، والموسيقى الصاخبة الحلوة ، يبدو وكأنها أنغام خالصة قريبة للنفوس ـ تعشقها الأذن ويتذوقها عامة الناس ، فتقع من القلوب موقع الزُّلال البارد من العطشان ، وكأنها الماء العذب ، وجنائن العصر .

أما في زهدياته فتعتري شعره مسحةٌ من الشؤم الأسود الحزين ، فالحياة ليس فيها إلاّ الألم والموت ، وأولى بالإنسان فيها أن لا يفرح بمتعها ، ففي الموت الظلمة والوحشة ، فكان

على المرء أن يبكي على نفسه ، فيقول :

لـدواعـي الـخـيـرِ والشّـ ـرِّ دنـوٌّ ونـزوحُ
سيـصـيـر الـمـرءُ يـومـاً جـسـداً مـا فـيـه روح
بـيـن عـيـنـيْ كـلِّ حـيٍّ عـلمُ الـمـوت يـلـوح
كـلنـا فـي غـفـلةٍ والـ ـمـوت يـغـدو ويـروح
نـحْ على نفسـك يـا مسْـ ـكـيـن إن كـنـت تـنـوح
لـتـمـوتـنَّ وإن عُـمِّـ ـرْتَ مـا عُـمِّـر نـوح[1]

وقيل إنَّ الرشيد لمّا سمعها وهو في إحدى نزهـاته ، أخـذ يبكي وينتحب[2] .

والطبقة الشعبية العامة التي لم تكن تعرف الترف ، واللهو ، وَجَـدَتْ في شعر أبي العتـاهية صـدى نفسهـا ، وألفـاظهـا ، وبساطتها ورؤيتها للحياة الدنيا والآخرة ، حتى جاءت ابتهالاته نقيضـة لمتع الحيـاة ، تكثر فيهـا الموعـظة والحكمة ، وتنعم بالعيش البسيط ، فيقول :

رغـيـف خـبـز يـابسٍ تـأكـله فـي زاويَـهْ
وكـوزُ مـاء باردٍ تـشـربـه مـن صـافـيـه
وغـرفـةٌ ضـيّـقـةٌ نـفسُـك فـيـهـا خـالـيـه

---

(١) الأغاني ٤/١٠٣ .
(٢) الأغاني ٤/١٠٤ .

خيرٌ من الساعات في ظلٍّ القصور العاليه

فهذه الألحان الزهدية لم تكن تقل عن ألحان المجون إن لم تزد عليها ، ذلك أنّ أبا العتاهية اختار الأوزان الخفيفة والمجزوءة ، ويظهر أنّ أبا العتاهية كان مشغوفاً بهذه الأوزان القصيرة ، فقد عُرف بأن له أشعاراً لا تدخل في العروض[٢] .

وكان لسرعته وسهولة الشعر عليه ربما قال شعراً موزوناً يخرج به عن أعاريض الشعر وأوزان العرب ، وقعد يوماً عند قصَّار فسمع صوت مدقَّةٍ فحكى ذلك في ألفاظ شعره وهو عدة أبيات منها :

للمنون دائراتٌ يُدِرْنَ صِرفها
هن ينتقيننا واحداً فواحدا[٣]

وهكذا فإن أبا العتاهية قد اختطّ طريقاً خاصاً به ، هو طريق السهولة التي تدخل إلى القلوب والنفوس وتنقل ببساطة إليها معاناة الناس وهموم الحياة وأبعاد المصير ؟ .

---

(١) الفصول والغايات ، ص : ١٣٢ ـ والصفاد : القيد .
(٢) الأغاني دار الكتب ج ، ص : ٤/١٧٥ .
(٣) ابن قتيبة الشعر والشعراء ، ص : ٤٩٧ .

مختارات الزهد

أصلح نفسك

سُبحانَ رَبِّكَ! ما أراكَ تتوبُ،
والرّأسُ منكَ بشَيبِهِ مخضُوبُ
سُبحانَ رَبِّكَ ذي الجلالِ! أما ترى
نُوَبَ الزّمانِ عليكَ، كيفَ تنوبُ
سُبحَانَ رَبِّكَ! كيف يغلِبُكَ الهوى،
سُبحانَهُ! إنَّ الهَوَى لغلُوبُ
سُبحانَ رَبِّكَ! ما تزالُ، وفيك عن
إصلاحِ نفسِكَ فَتْرَةٌ، ونُكوبُ[1]
سبحان ربّك! كيف يَلتَذُّ امرُؤٌ
بالعيش وهوَ بنفسِهِ مطلوبُ

* * * *

(١) نكوب : عدول وإعراض .

أين أبي؟

يــا نـفسُ أينَ أبـي ، وأينَ أبــو أبـي ،
وأبـوهُ؟ عُـدِّي ، لا أبـا لـكِ ، واحْسُبي
عُـدّي ، فـإني قـد نَـظَرْتُ ، فَلَمْ أَجِــدْ
بيـنـي وبـيــن أبـيــكِ آدمَ مِــنْ أبِ
أَفَـأَنْـتِ تَـرْجينَ السَّــلاَمَــةَ بَعــدَهُمْ ،
هـلاّ هُـديتِ لسَمتِ وجـهِ المَـطلَبِ[1]
قـد مـاتَ مــا بَيْنَ الجَنينِ إلى الـرَّضيـ
ـعِ ، إلى الفَـطيم ، إلى الكبيرِ الأَشْيَبِ
فــإلى متـى هــذا أراني لاعِــبــاً ،
وأرى الـمـنـيّــة إنْ أَتَـتْ لَـمْ تَـلْعَــبِ

التاجر الحقيقي

إغْـتَـنِــمْ وَصْــلَ الــذي كــانَ حَـيّــاً
فـكفـى بــالمـوتِ نــأيــاً ، وهَـجْــرَا
واجْــعَــلِ الـمــالَ إلــى الــلّهِ زاداً ،
واجْعَــلِ الــدّنيـا طَــريقــاً وجِسْــرَا
إنّــمــا التّــاجِــرُ حـقّــاً ، يـقــينــاً ،
تــاجــرٌ يــربــحُ حــمــداً ، وأجــرَا

* * * *

---

(١) السمت : الطريق والقصد .

التقوى عز وكرم

ألا إنّمـا التّقـوى هي العِـزّ والكَـرَمْ،
وَحُبُّـكَ للدّنـيـا هـو الـذلُّ والعـدم
ولـيسَ على عـبْـدٍ تـقـيّ نـقـيصـةٌ،
إذا صحّح التّقوى، وإن حاكَ أوْ حجمْ[1]

* * * *

تفكر قبل أن تندم

تـفـكّـرْ قـبـلَ أنْ تـنـدَمْ فـإنّـك مـيّـتٌ، فـاعْـلَمْ
ولا تَـغْـتَـرَّ بـالـدّنْـيـا، فـإنّ صحـيحَـهـا يـسـقـم
وإنّ جَـديـدَهـا يَـبـلَى، وإنّ شَـبَـابَـهـا يـهْـرَمْ
وإنّ نـعـيـمَـهـا يَـفْـنَـى، فَـتَـرْكُ نـعـيـمِـهَـا أحْـزَم
وَمَـنْ هـذا الـذي يـبـقـى عـلى الحِـدْثـانِ، أو يـسلمْ
رأيـتُ الـنـاسَ أتْـبَـاعـاً لِـذي الـدُّنـيـاءِ والـدّرْهَـمْ
وَمَـا لـلـمَـرْءِ إلاّ مـا نَـوَى في الخـيـرِ، أو قَـدّمْ

* * * *

أرجـوزة أبي العتاهية

قـال صاحب الأغـاني : إن هذه الأرجـوزة من بدائـع أبي

(١) حجم : عالج المريض بالمحجم .

العتاهية ويقال : إنّ فيها أربعة آلاف مثل . ونذكر ما أمكن منها :

حَسْبُكَ، مِمَّا تبتَغيهِ، القُوتُ،
ما أكثرَ القوتَ لِمَنْ يَمُوتُ

الفَقْرُ فيما جاوزَ الكَفَافَا؛
مَنِ اتّقى اللَّهَ رَجَا وخَافَا

إنْ كانَ لا يُغْنيكَ ما يَكْفِيكَا ،
فكلّ ما في الأرضِ لا يُغْنيكا

إنّ القليلَ، بالقَليلِ ، يكْثُرُ؛
إنّ الصفاءَ، بالقَذَى، ليَكدُرُ

هيَ المقاديرُ، فلُمني ، أوْ فذَرْ
إنْ كنتُ أخطأتُ فما أخطأ القَدَرْ

ما انْتَفَعَ المَرْءُ بمثلِ عَقْلِهِ،
وخيرُ ذُخرِ المرءِ حُسنُ فِعلِهِ

إنَّ الفسادَ ضِدّهُ الصّلاحُ؛
ورُبَّ جِدٍّ جَرّهُ المُزَاحُ

* * *

أسْتَوْدِعُ اللَّهَ أُموري كُلّها،
إنْ لم يكُنْ ربّي لها، فَمَنْ لها؟

وللكلام باطنٌ وظاهرٌ،
في ساعةِ العَذْلِ يموتُ الجائِرُ
إنّ الشبابَ، والفراغَ، والجِدَه،
مَفسَدةٌ للعقلِ أيّ مَفْسَدَهْ
إنّ الشّبابَ حُجّة التّصابي،
رَوائِحُ الجنّةِ في الشّبابِ
أصْحَبْ ذوي الفضلِ وأهلَ الدين
فالمرءُ مَنْسُوبٌ إلى القَرينِ
إيّاكَ والغيبَةَ والنّميمَهْ
فإنّها مَنزِلةٌ ذَميمَهْ
لا تذْهَبَنَّ في الأمورِ فَرَطَا؛
لا تَسألنَّ إنْ سألْتَ شَطَطَا
وكُنْ مِنَ النَّاسِ جَميعاً وسَطَا

ناصح مشفق

رغيفُ خُبْزٍ يابسٍ تأكُلُهُ في زاوِيَهْ
وكُوزُ ماءٍ بارِدٍ، تَشْرَبُهُ مِنْ صافِيَهْ
وغُرْفَةٌ ضيّقَةٌ، نفسُكَ فيها خالِيَهْ
أوْ مسجِدٌ بِمَعزِلٍ، عن الوَرَى، في ناحِيَهْ
تَدْرُسُ فيه دفتراً، مُسْتَنِداً بسارِيَهْ

مُعْتَبِراً بِمَنْ مَضى، من القرونِ الْخَالِيَهْ
خيرٌ مِنَ السَّاعَاتِ في فَيْءِ القُصُورِ العَالِيَهْ
تُعْقِبُهَا عُقُوبَةٌ تَصْلَى بنارٍ حَامِيَهْ
فهذِهِ وَصِيَّتِي، مُخْبِرَةٌ بحالِيَهْ
طُوبَى لِمَنْ يَسْمَعُها، تِلكَ، لَعَمري، كافِيَهْ
فاسمَعْ لنُصْحِ مُشْفِقٍ، يُدْعَى أبا العَتَاهِيَهْ

* * *

بأي بلاد

ليتَ شعري ، فإنّني لست أدري
أيَّ يَوْمٍ يكونُ آخرَ عُمْرِي
وبأيِّ البلاد يُقبضُ روحي،
وبأيِّ البلادِ يُحْفَرُ قبرِي[1]

* * *

اقنع بعيشك

مَنْ عاشَ عايَنَ ما يسو ءُ منَ الأمورِ، وما يسُرُّ
ولَرُبَّ حَتْفٍ، فوقَهُ ذَهَبٌ، وياقُوتٌ، ودُرّ
فاقنع بعيشِكَ، يا فتى، وامْلِكْ هَواكَ، وأنتَ حرّ

* * *

(١) مؤدي هذين البيتين مستوحى من الآية الكريمة : ﴿ وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت ﴾ .

لا تعشق الدنيا

لَعَمْـرُكَ، مـا الـدنيـا بـدارِ بَقَـاءِ؛
كَـفَـاكَ بـدارِ الـمـوتِ دَارَ فَـنَـاءِ

فـلا تعشقِ الـدّنْيَـا، أُخيَّ، فـإنّمـا
يُـرَى عـاشِقُ الـدّنيـا بـجُهْـدِ بَـلاءِ

حَـلاوَتُـهـا مـمـزوجـةٌ بـمَـرارةٍ؛
وراحَـتُـهـا مَـمْـزُوجَـةٌ بـعَـنَـاءِ

فـلا تَمشِ يـومـاً في ثيـابِ مَخيلَةٍ
فـإنّـكَ من طيـنٍ، خُلقـتَ، ومـاءِ[1]

* * *

أيـا عَجَبـاً لـلدّهـر لا بـلْ لـرَيبِـه،
يُـخَـرِّمُ رَيبُ الـدّهـرِ كـلَّ إخـاءِ[2]

وشتَّتَ ريـبُ الـدّهـرِ كـلَّ جمـاعـةٍ
وكـدّر ريـبُ الـدّهـرِ كُـلَّ صـفـاءِ

إذا مـا خليلي حـلّ في بَـرْزَخِ البِلَى،
فـحسبي بـه نـأيـاً وبُـعْـدَ لِقَـاءِ[3]

---

(١) المخيلة : الكبرياء (والآية الكريمة تقول : ﴿ لا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ﴾ .

(٢) يخرم : يفصم ، يقطع .

(٣) البرزخ : ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث ، ولعله أراد القبر .

أزُورُ قــبــورَ الـمــتــرفيــن فــلا أرى
بهــاءً، وكـانــوا، قبــلُ، أهــلَ بهــاءِ
وكــلَّ زمــانٍ واصــل بــصــريــمــةٍ،
وكــلَّ زمــانٍ مــلطفٌ بــجــفــاءِ[1]
يَعِــزُّ دفــاعُ المــوتِ عن كــلِّ حيلةٍ،
ويــعــيــا بــداءِ الــمــوتِ كــلُّ دَواءِ

من تراب إلى تراب

مــن تُــرَابٍ خُـلِقْــتَ لا شــكّ فـيــه
وغــداً أنْــتَ صــائــرٌ لــلتّــرابِ
كـيفَ تـلهــو وأنت فـي حمــأةِ الـطِّيـ
ـن، وتــمــشــي وأنــتَ ذو إعــجــابِ
تــســألُ اللّهَ زُلْــفَــةً واعــتِــصــابــاً
وخَــلاَصــاً مِــنْ مُـؤلـمــاتِ الـعــذَابِ
فَـخَفِ اللّهَ واتــرُكِ الــزّهــو، واذكــرْ
مــوْقفَ الخـاطىءِ في يــومِ الحسـابِ

* * *

---

(١) الصريمة : القطيعة ، ملطف : ملصق .

أفضل الزهد

لا يُعجِبَنْكَ: يا ذا، حُسنُ منظَرةٍ،
لم يَجْعَلِ اللَّهُ فيها حُسْنَ مَخبَرةِ
خيرُ اكتسابِ الفتى ما كانَ من عَمَلٍ
ذاكَ، وصَبرٌ على عُسْرٍ وَمَيْسَرَةِ
وأفضَلُ الزّهدِ زُهدٌ كان عن جِدَةٍ
وأفضلُ العفوِ عفوٌ عندَ مَقْدُرَةِ[1]
لا خَيْرَ، لا خيرَ للإنسانِ في طَمَعٍ
يصيرُ مِنْهُ إلى ذُلٍّ ومَخْفَرَةِ
أستغفِرُ اللَّهَ مِنْ ذنْبي، وأسألُه
عَيْشاً هَنيّاً، بأخْلاقٍ مُطَهَّرَةِ

* * *

الفخر في التقى والزهد

دَعْني مِنْ ذِكْرِ أبٍ وَجَدٍّ،
ونَسَبٍ يُعليكَ سُورَ الْمَجْدِ
ما الفخرُ إلاَّ في التّقَى والزّهدِ
وطاعةٍ تُعْطي جِنانَ الخُلْدِ

---

(١) الجدة : اليسار والسعة .

لا بُدّ مِن وِرْدٍ لأهلِ الورْدِ،
إمّا إلى خَجَلٍ، وإمّا عدّ[1]

الحرص على الدنيا

لقد لَعِبْتُ، وجَدَّ الموتُ في طَلَبي
وإنّ في الموتِ لي شُغْلاً عنِ اللّعِبِ
لَوْ شَمَّرَتْ فِكْرَتي فيما خُلِقْتُ لَهُ
ما اشتدّ حِرْصِي على الدّنيا، ولا طلبي
سبحانَ مَن ليس مِن شيءٍ يُعَادِلُهُ
إنّ الحريصَ على الدّنيا لَفِي تَعَبِ

* * *

دنيا كالحية

قد رأيتُ القُرونَ، قبلُ، تَفَانَتْ
دَرَسَتْ، وانقَضَتْ سريعاً وبَانَتْ[2]
كَمْ أُناسٍ رأيتَ أكرَمَتِ الدّنْـ
ـيَا ببعضِ الغُرورِ ثمَّ أَهَانَتْ

---

(١) الورد : النصيب من الماء الذي يصار إليه ، عد : من عدى عن الشيء تركه ولعلها عد بكسر العين أي الماء الجاري لا ينقطع .

(٢) درست : عفت وانمحت ، بانت : انقطعت .

كمْ أمــورٍ قــد كنتَ شُــدِّدْتَ فيهــا،
ثــمّ هَــوَّنْتَــهــا عليـكَ، فــهــانَتْ
هيَ دُنْيــا كـحيّـةٍ تَـنْـفُـثُ السّــمّ
وإنْ حَـيَّـةً بِـلَمْـسِـهَـا لانَـتْ

* * *

كل مولود للموت

ألا كــلّ مـولــودٍ، فللْمَــوْتِ يــولَــدُ،
ولــستُ أرَى حــيّــاً لـشــيءٍ يُـخَــلَّدُ
تـجــرّدْ مِنَ الــدّنْيــا، فــإنّــكَ إنّمــا
سَقَــطْتَ إلى الــدنيــا، وأنت مُـجَــرَّدُ
وأفـضــلُ شيءٍ نِـلْتَ منـهــا، فــإنّــهُ
مَتَــاعٌ قليــلٌ يَـضمَـحــلّ، ويَنْـفَــدُ[1]
وَكَمْ من عــزيـزٍ أذْهَبَ الــدّهْـرُ عــزَّه،
فـأصبـح محـرومـاً، وقـد كـانَ يُحْسَــدُ
فــلا تحمَــدِ الــدّنْيــا، ولكِنْ ذُمّهَــا،
ومــا بــالُ شـيءٍ ذمَّــهُ اللَّهُ يُــحْـمَــدُ

---

(١) المتاع : ما ينتفع به انتفاعاً قليلاً غير باق بل ينقضي عن قريب .

زوال الدنيا وأهوال الموت

المـنـايـا تـجُـوسُ كـلّ الـبـلادِ،
والـمـنـايـا تُـبـيـدُ كـلّ الـعِـبَـادِ[1]

لـتَـنَـالَـنّ مِـنْ قـرونٍ، أراهـا،
مـثـلَ مـا نِـلْنَ مِـنْ ثَـمُـودٍ وعـادِ

هـنّ أفْـنَـيـنَ مَـن مَـضَـى مِنْ نِـزَارٍ؛
هُـنّ أفْـنَـيـنَ مَـنْ مَـضَـى مِـنْ إيـادِ

هـل تـذكَّـرْتَ من خـلا من بني الأصْـ
ـفَـرِ أهـلِ الـقِـبـابِ، والأطْـوادِ

هـل تـذكَّـرْتَ من خـلا مِنْ بني سَـا
سـانَ أرْبـابِ فـارِسٍ، والـسّـوادِ

أيـن داوُد، أيـنَ أيـنَ سُـلَيْـمَـا
نُ الـمَـنـيـعُ الأعـراضِ، والأجـنـادِ

راكِبُ الـرّيـحِ، قـاهـرُ الجـنّ والإنـ
ـسِ بـسُـلطانِـهِ، مُـذِلُّ الأعـادي

أيـنَ نُـمـرُودُ وابْـنُـهُ، أيـنَ قـارُو
نُ، وهـامـانُ، أيـنَ ذو الأوتـادِ

إنّ فـي ذكـرِهـمْ لـنـا لاعْـتِـبَـاراً،
ودلـيـلاً عـلى سـبـيـلِ الـرّشـادِ

---

(١) تجوس: تطلب بحرص واستقصاء.

وَرَدوا كُــلّهُــمْ حِــيــاضَ الــمَــنَــايَــا
ثــمّ لــم يَــصْــدِروا عَــنِ الإيــرادِ
أيهــا المُــزْمِــعُ الرّحيــلَ عنِ الــدّنْيــا
تــزوّدْ لــذاكَ مِــنْ خَــيــرِ زادِ
لَتَنــالَــنَّــكَ اللّيــالــي وَشيــكــاً،
بــالــمنــايــا، فكن عــلى استِعــدادِ
أتَــنَــاسَــيْــتَ أمْ نــسيت الــمَــنَــايــا؟
أنــســيــتَ الــفِــراقَ لــلأولادِ؟
أنــسيــتَ الــقُــبُــورَ، إذ أنــت فــيهــا،
بَــيــنَ ذُلٍّ، ووَحْــشَــةٍ، وانــفــرادِ

* * *

أيّ يــومٍ يــومُ الــوُقــوفِ إلــى الــلّهِ،
ويــومُ الــحِــســابِ والاشــهــادِ
أيّ يــومٍ يــومُ الــمــمــرّ عــلى الــنــا
رِ وأهــوالِــهــا الــعــظامِ، الــشّــدادِ
أيّ يــومٍ يــومُ الــخــلاصِ منَ الــنــا
رِ، وهَــوْلِ الــعــذاب والأصْــفــادِ
كَمْ وَكَمْ في القُبــورِ من أهــلِ مُلكٍ؛
كــمْ وكــمْ فــي الــقُــبــورِ مِــنْ قُــوّادِ

كمْ وكمْ في القبـورِ من أهـلِ دُنيـا ؛
كـمْ وكـم فـي الـقـبـورِ مـن زُهّـادِ
لـوْ بَـذَلْتُ النّصْـحَ الصّحيـحَ لنَفسي
لم تـذُقْ مُـقلتـايَ طَـعـمَ الـرّقـادِ
لـوْ بَـذَلْتُ النّصـحَ الصّحيـحَ لنفسي
هِمتُ، أُخـرَى الـزّمـانِ، في كـلّ وادِ

* * *

دنيا وآخـرة

مَـرّتِ الـيـومَ شـاطـرَةْ بضّـةُ الجسْمِ سـاحـرَةْ[1]
إنّ دُنْـيـا هـي الـتـي مَـرّتِ الـيـومَ سـافِـرَةْ
سَـرقـوا نِصْفَ اسـمِـهـا فـهْـيَ دُنـيـا وآخـرةْ

* * *

لمن تجمع المال ؟

أتـجـمـع مـالاً لا تُـقَـدّمُ بعـضَـهُ
لـنفْـسِـكَ ذُخْـراً، إنّ ذا لَـسُـقُـوطُ

---

(١) الشاطرة : التي أعيت أهلها خبثاً . البضّةُ : الطرية الجسم ، الرقيقة الجلد .

أتُوصِي لِمَنْ بعدُ المماتِ جَهَالَةً
وتتركُهُ حيّاً، وأنت بسيط[1]
نَصيبُكَ مِمّا صِرْتَ تجمَعُ دائباً،
فثَوْبانِ مِنْ قبطيّةٍ، وحَنوط[2]
كأنّكَ قد جُهّزْتَ تُهدى إلى البِلَى،
لنفسِكَ في أيدي الرّجالِ أطيطُ[3]
وعَايَنْتَ هَوْلاً لا يُعايَنُ مِثْلُهُ،
وقُدْرَةَ رَبٍّ، بالعبادِ، تُحيطُ
وَصِرْتُ إلى دارٍ هي الدّارُ لا التي
أقَمْتَ بها حيّاً، وأنْتَ نشيطُ
محَلٌّ بهِ الأقدامُ، وَيحَكَ، تَستَوي
وصيدُ كِرَامٌ: سادَةٌ ونبيطُ[4]

* * *

صفة الدنيا

حُتُوفُهَا رَصَدٌ، وعيشُها نَكَدٌ وَرَغدُها كَمَدٌ، ومُلكُها دوَلُ

* * *

---

(١) بسيط : ممدود ، أي في قبره .
(٢) القبطية : ثوب أبيض رقيق من كتان ، كان ينسجه القبط في مصر .
(٣) الأطيط : الصوت .
(٤) النبيط : قوم كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقين .

مـادح الدنيا وعـائبها

عَـجِـبْـتُ لـلنّـارِ نـامَ راهِـبُـهـا
وجَـنّـةِ الـخُـلْدِ نـامَ راغِـبُـهـا[1]

عـجبـتُ للجَنّـةِ الـتـي شَـوَّقَ الـ
ـلّهُ إلـيـهـا، إذْ نـامَ طـالِـبُـهَـا

إنّي لـفـي ظُـلْمَـةٍ مـنَ الحُـبّ لـلـ
ـدّنْـيـا، وأهـلُ الـتّـقى كَـوَاكِـبُـهـا

مَـنْ لم تَـسَـعْـهُ الـدّنـيـا لـبُـلغَـتِـهِ،
ضـاقَـتْ على نـفـسِـهِ مـذاهِـبُـهَـا[2]

مَنْ سـامَـحَ الحـادثـاتِ ذلّتْ لـه الـ
أرضُ، ولانـتْ لـهُ مَـنـاكـبُـهَـا

والـمـرءُ مـا دامَ فـي الـحـيـاةِ، فـلا
يَـنـفَـكّ مـن حـاجـةٍ يُـطـالِـبُـهَـا

يـا عَـجَـبـاً لـلدّنـيـا كـذا خُـلِقَـتْ
مـادِحُـهـا صـادقٌ وعـائِـبُـهَـا

* * *

---

(١) راهبها : خائفها .

(٢) البلغة : ما يتبلغ به من العيش وقوام الحياة .

المديح في شعر أبي العتاهية

تـاجـان

قال يمدح المهدي :

وَمَـهْـمَـهٍ قـد قـطعتُ طـامِسَـهُ،
قَفْـرٍ على الـهَـوْلِ والمحـامـاة[1]

يـا نـاقُ خبّي بـنـا ، ولا تـعِـدي
نَـفْـسَـك مِـمّـا تَـرَيـنَ راحـاتِ[2]

حتى تـنـاخي بـنـا إلى مَـلِكٍ،
تَـوَّجَـهُ الـلّهُ بـالـمَـهَـابَـاتِ

عـليـهِ تـاجـان، فَـوْقَ مَـفْـرِقِـهِ،
تـاجُ جـلالٍ، وتَـاجُ إخـبـاتِ[3]

يـقـولُ لـلرّيـحِ كُـلّمـا عَـصَـفَـتْ:
هَـلْ لكِ، يَـا ريـحُ، في مُبـاراتي

مَنْ مثـلُ من سـادَ أعمـامـاً، ثمّ من
أخـوالُـهُ أكـرم الـخـؤولاتِ

* * *

---

(١) المهمة : المفاترة ، والفلاة . الطامس : الدارس الممحو .

(٢) الخيب : ضرب من السير السريع .

(٣) الأخيات : التواضع .

وقال في المهدي :

أنتَ المقَابِلُ، والمُدَا بِرُ في المناسِبِ، والعديدِ
بَينَ العُمومَةِ، والخُؤو لَةِ، والأُبُوَّةِ، والجُدودِ
فإذا انتَمَيْتَ إلى أبيـ ـكَ، فأنتَ في المجدِ المشيدِ
وإذا انتَمى خَالٌ فَمَا خَالٌ بأكرَمَ مِنْ يَزيدِ[1]

* * *

من مثل موسى

وقال يمدح الهادي عندما ولي الخلافة :

يَضْطَرِبُ الْخَوْفُ والرَّجاءُ، إذا
حَرَّكَ مُوسَى القَضيبَ، أوْ فَكَّر[2]
ما أَبْيَنَ الفَضْلَ في مغيبٍ، ومَا
أَوْرَدَ مِنْ رأيِهِ، وما أصْدَرْ
فكم ترى عَزّ عند ذلك مِنْ
مَعْشَرِ قَوْمٍ ، وذَلَّ مِنْ معشَرْ
يُشْمِرُ مِنْ مَسّهِ القضيبُ، وَلَوْ
يَمَسّهُ غيرُهُ لَمَا أثْمَرْ

---

(1) يزيد : هو يزيد بن منصور وكانت أم المهدي بنت منصور الحميري .

(2) أراد بالقضيب : صولجان الملك .

مَنْ مثلُ موسى ومثلُ والِدِهِ الـ
ـمهديّ أوْ مِثلُ جَدّه جعفرْ

* * *

رب المدائن والقصور

وقال فيه أيضاً :

لهفي على الزّمنِ القصيرِ، بين الخَوَرْنَقِ والسّديرِ[1]
إذْ نحنُ في غُرَفِ الجِنَا نِ، نَعومُ في بحرِ السّرورِ
وإلى أمين الله مَهْرَبُـ ـنا مِنَ الدَّهرِ العَشُورِ
وإليه أتْعَبْنَا المطا يا، بالرّواح، وبالبُكُورِ
صُعْرُ الخُدودِ، كأنّما جُنّحْنَ أجنِحَةَ النّسورِ
مُتَسرْبلاتٍ بالظلا مِ على السّهولةِ والوُعُورِ
حتى وصلنا بنا إلى ربّ المدائنِ والقُصُورِ
ما زال قبلَ فِطَامِهِ في سِنّ مَكْتَهِلٍ كبيرِ

الله ولي أمير المؤمنين

قال يمدح الرشيد :

جَرَى لكَ مِن هارونَ بالسّعد طائرُهْ
إمام اعتزامٍ، لا تُخافُ بَوَدِرُهْ

---

(١) الخورنق والسدير : قصران كانا بالحيرة .

إمامٌ لـه رأيٌ حَـمـيـدٌ، ورَحـمَـةٌ
مَـوارِدُهُ مـحـمُـودَةٌ، ومـصـادِرُهْ

هـو الـمَلِكُ الـمَجْبُـولُ نفسـاً على التّـقى
مُـسَلّمَـةٌ مِنْ كـل سُـوءٍ عَـسَاكـرُهْ

لِيَغْمُـدَ سَيفَ الحَـرْبِ ، فـالـلّهُ ، وحْـدَهُ،
ولـيٌّ أمـيـرِ الـمـؤمـنـيـنَ ونـاصِـرُهْ

وهـارُونُ مـاءُ الـمُـزْنِ يَـشـفـي مـن الـصّـدى
إذا مـا الصّـدى بـالـرّيقِ غصّتْ حنـاجـرُهْ[1]

وأوسطُ بَـيـتٍ، فـي قُـرَيش ، لَـبَـيْـتُـهُ،
وأوّلُ عِـزٍّ، فـي قُـرَيْشٍ ، وآخِـرُهْ

وَزَحْـفٌ لـهُ تَـحـكـي الـبُـروقَ سُـيُـوفُـهُ،
وتـحـكـي الـرّعـودَ الـقـاصـفـاتِ حَـوَافِـرُهْ

إذا مـا حَـمِـيَتْ شـمسُ الـنهـارِ تَـضَـاحَـكَتْ
إلـى الـشـمسِ فـيـه بِـيـضُـه، ومـغـافِـرُهْ

إذا نُـكِـبَ الإسْـلامُ يـومـاً بِـنَـكْـبَـةٍ،
فـهـارونُ مِـنْ بـيـن الـبـريّـةِ ثـائِـرُهْ

وَمَـنْ ذا يـفـوتُ الـمـوتَ والـمـوتُ مُـدْرِكُ
كَـذَا لـم يَـفُـتْ هـارونَ ضِـدٌّ يُـنَـافِـرُهْ

(١) الصدى : العطش . والصدي : العطشان .

حزب الله

وقال يمدح الرشيد بقصيدة طويلة منها :

ألا إنّ حزبَ اللهِ ليسَ بمُعْجزِ
وأنصارَهُ في مَنعَةِ المتحرِّزِ
أبى اللَّهُ أنْ يُعصَى، لهارونَ، أمرُهُ،
وذلّتْ لهُ صَوعاً يَدُ الْمُتَعَزِّزِ
إذا الرايةُ السوداءُ راحتْ، أو اغتدتْ
إلى هاربٍ منها، فليسَ بمُعجِزِ
أطاعتْ لهارونَ العُداةُ، لَدَى الوَغى،
وكَبَّرَ للإسلامِ بنْدارُ هُرْمُزِ

* * *

المنايا سامعات لك

ومدح المهدي بقوله :

عَلِمَ العالَمُ أنَّ المنايا
سامِعَاتٌ لَكَ، فيمَنْ عَصَاكَا
فإذَا وَجّهْتَهَا نحو طاغٍ
رَجَعَتْ تَرْعَفُ منهُ قَنَاكَا[1]

---

(١) ترعف : تسيل دماً .

وَلَوْ أنَّ الريحَ بارتْكَ يوماً،
فِي سماحٍ، قَصُرَتْ عَنْ نَدَاكا

* * *

أتته الخلافة منقادة

ومدح المهدي بحضور (بشّارٌ ، وأشجع) منها :

أَتَتْهُ الخلافَةُ مُنْقَادةً إليهِ، تجرِّرُ أذيالَهَا
ولم تكُ تصلُحُ إلاَّ لَهُ، ولم يَكُ يصلُحُ إلاَّ لَهَا
ولو رامَها أحدٌ غيرَهُ، لزُلْزِلَتِ الأرض زلزالَهَا
ولوْ لم تُطعْهُ بناتُ القلوبِ، لما قَبِلَ اللَّهُ أعْمالَهَا
وإنَّ الخليفَةَ مِنْ بُغْضِ لا إليه، ليُبغِضُ مَنْ قالَهَا

* * *

ولما غزا الرشيد نقفور ملك الروم فانقاد إلى الرشيد وحمله الأموال والهدايا والضريبة ، فقال أبو العتاهية مهنئاً ومادحاً الرشيد :

رشاد وهدى

إمَامَ الهُدى أصبحت بالدِّين مَعنيّاً،
وأصبحت تسقي كلَّ مُستَمطرٍ رِيّا
لكَ اسمانِ شُقّا من رشادٍ ومن هدىً،
فأنتَ الذي تُدعى رشيداً، ومَهدِيّا

بَسَطتَ لَنَا شَرْقاً وغرْباً، يَدَ العُلى،

فأوْسَعتَ شَرْقيّاً، وأوْسعتَ غَرْبيّا

وَوَشّيتَ وجهَ الأرضِ بالجودِ والنّدى،

فأصبح وجهُ الأرضِ بالجودِ مَغشيّا

وأنتَ أميرُ المُؤمنينَ فَتَى التّقى،

نشرْتَ، من الإحسانِ، ما كان مَطوِيّا

قَضَى اللّهُ أنْ يَبقَى لهارونَ مُلْكُهُ،

وكانَ قضاءُ اللّهِ في الخَلقِ مقضِيّا

تجلّلَتِ الدّنيا لهارونَ ذي الرّضا،

وأصبَحَ نِقْفُورٌ، لهارونَ، ذِمّيّا

الغزل عند أبي العتاهية:

ريح التصابي

ولقد حبوتُ إليك، حتى صارَ مِنْ فَرْط التّصابي

يجد الجليسُ، إذا دَنَا، رِيحَ التّصابي في ثيابي

أَمَا رحمتْني؟.

أما رَحِمَتني، يومَ وَلّتْ، فأسرَعتْ

وَقَدْ تَرَكَتْني واقِفاً أتَلَفّتُ

أقلّب طَرْفي كيْ أراها، فلا أرَى،

وأحلُبُ عيني درّها، وأُصوّتُ

وقال يتغزل بعتبة وقد سمّاها (عتابة) :

دمية القس

كــأنّ عــتّــابــةَ مــن حُــسْــنِــهــا
دُمــيَــةُ قسّ فَــتَــنَــتْ قَــسَّــهَــا
يــا رَبّ لَــوْ أنْسَيــتَــنــيــهــا بــمَــا
فــي جنّــةِ الــفــرْدوْسِ لــم أنــسَــهَــا

وقد اتهم أبو العتاهية من أجل هذين البيتين بالزندقة لأنه تهاون بالجنة وابتذل ذكرها .

كل الناس يعلم

اشتهر أبو العتاهية بمحبته عتبة جارية المهدي وأكثر نسيبه بها ، فمن ذلك قوله :

أعْــلمتُ عُــتــبــةَ أنّــنــي   منهــا، على شَرَفٍ، مُطِلٌّ[1]
وشكَــوْتُ مــا ألقَى إليهــا   والــمَــدامــعُ تــســتــهــلُّ
حــتــى إذا بــرِمَــتْ بِــنــا   أشكــو كمــا يشكُــو الأقــلُّ
قــالتْ: فــأيُّ النّــاسِ يعْــ   لمُ مــا تقــولُ؟ فقلتُ: كــلُّ

وقال أيضاً في عتبة :

---

(١) الشرف : المكان العالي .

قتيل يبكي على قاتله

يـا اخـوتـي! إنّ الـهَـوَى قَـاتِلي،
فـبـشّـروا الأكـفـانَ من عـاجـلٍ
ولا تـلومـوا في اتّـبـاعِ الـهَـوَى،
فـإنّـنـي فـي شُـغُـلٍ شـاغِـلِ
عـيـنـي عـلى عُـتْـبَـةَ مُـنـهَـلَةٌ،
بـدمـعِهـا الـمنْسَكِبِ الـسّـائِـلِ
كـأنّـهـا مـن حُـسـنِـهـا، دُرّةٌ،
أخـرَجَـهـا الـيَـمُّ إلى الـسّـاحِـلِ
كـأنّ، في فـيـهـا وفي طَـرْفِـهـا،
سَـواحِـراً أقْـبَـلْنَ مـن بـابِـلِ
لـم يـبـق مـنـي حبُّـهـا، مـا خـلا
حُـشـاشَـةً فـي كَـبِـدٍ نـاحِـلِ
يـا مـن رأى قـبـلي قـتـيـلاً بـكَـى،
من شـدّةِ الـوَجـد، على الـقـاتِـلِ

سيدتي عتبة

يـا عـتبَ سـيـدتي! أمَـا لَـكِ ديـنُ؟
حـتى مـنى قـلـبي لـديـكَ رهِـينُ؟
وأنـا الـذّلـولُ لكـلّ مـا حمّلتِني؛
وأنـا الـشّقيّ الـبـائسُ الـمـسـكـينُ

وأنــا الـغــداةَ لـكــلِّ بَــاكٍ مُـسـعِــدُ
ولــكــلِّ صَــبٍّ صــاحــبٌ وخــديــنُ
لا بــأسَ، إنَّ لــذاكَ عـنــدي راحــة
لـلصبِّ أنْ يـلقى الـحــزيـنَ حــزيـنُ
يــا عتبَ! أين أفـرّ منــكِ، أميــرتي!
وعـليّ حِـصْـنٌ مـن هــواكِ حَـصِـيـنُ

الرثاء في شعر أبي العتاهية

مات ابن وهب

قال يرثي سعيد بن وهب :

مــات والــلَّهِ سـعــيــدُ بــنُ وَهْــبِ،
رَحِــمَ الــلَّهُ سَــعــيــدَ بــنَ وَهْــبِ
يــا أبَــا عُـثْـمــانَ أبـكَـيْـتَ عَـيـنـي؛
يــا أبــا عُـثـمــانَ أوْجَـعـتَ قــلبي

* * * *

مات الشعر

ورثى بكر بن النطاح الشاعر البصري المتوفي سنة ١٧٣ هـ (٧٨٨ م) فقال :

مــاتَ ابــنُ نَــطّاحٍ أبُــو وائِــلٍ
بَـكْــرٌ وأمـسـى الـشّـعــرُ قــد مــاتَــا

* * * *

من القصر إلى القبر

قال يرثي صديقاً له يدعى عليا :

أخٌ، طالمَا سرَّني ذِكْرُهُ،
فقد صرْتُ أشجى لدى ذكرِهِ
وقد كنتُ أغدو إلى قصرِهِ،
فقد صِرْتُ أغدو إلى قبرِهِ

* * * *

تظلّ نهارَكَ في خيرِهِ،
وتأمَنُ ليلَكَ مِنْ شرِّهِ
فَصَارَ عليّاً إلى ربّه،
وكانَ علياً فتى دهرِهِ
أتتْهُ المنيّةُ مُغْتَالةً،
رُوَيْداً، تُخَتّلُ من سِترِهِ[1]
وأصبح يعدو إلى منزلٍ
سحيقٍ، تُوَنّيَ في حفْرِهِ
تُغَلّقُ بالتُّرْبِ أبوابُهُ،
إلى يومِ يُؤذَنُ في حَشْرِهِ

---

(١) مغتالة : مهلكة . تختل : تخدع . ستره : هيكله الجسمي .

وَخَلّى القصورَ التي شادها،
وحلّ من القبرِ في قَعْرِهِ

وَبَدَّلَ بالبُسطِ فَرْشَ الثّرى،
وريح ثرى الأرض من عطرِهِ

* * * *

فلا يبعُدَنّ أخي هالكاً،
فكُلٌّ سَيَمْضي على إثْرِهِ

* * * *

غفر الله لي ولك

قال يرثي علي بن ثابت :

مُؤنِسٌ كانَ لي هَلَكْ، والسّبيلُ التي سَلَكْ
يا عليّ بنَ ثَابتٍ، غَفَرَ اللّهُ لي وَلَكْ
كُلُّ حَيٍّ مُمَلَّكٍ، سَوْفَ يَفنى وما مَلَكْ

* * * *

قبر معمور

وقال يرثي أبا غانم حميد بن حميد الطوسي :

أَبا غانِمٍ ، أمّا ذُراكَ فَواسعٌ،
وقبرُكَ معمورُ الجوانبِ مُحكَمُ

ومـا ينفَـعُ المقبـورَ عمـرانُ قبـرِهِ،
إذا كـانَ فـيـه جِسـمُـهُ يَتَـهَـدّمُ

* * * *

فتى الفتيان زائدة

قال يرثي أبا العباس زائدة بن معن :

حَـزِنْـتُ لمَـوْتِ زائـدَةَ بـنِ مَـعْـنِ،
حقـيـقٌ أنْ يـطُولَ عـليـهِ حُـزْنـي
فـتـى الـفِـتـيـانِ زائـدَةُ الـمُـصَـفّـى
أبـو الـعبـاس كـان أخـي وخِـدْنـي
فـتـى قـوْمـي وأيّ فـتـىً تـوارتْ
بـه الأكـفـانُ تـحـت ثَـرًى ولِـبـنِ
ألَا يـا قـبـرَ زائـدةَ بـنِ مَـعْـنِ!
دعـوتُـكَ كـي تجـيب فـلم تُجِـبْـنـي
سَـلِ الأيـامَ عـن أركـانِ قـومـي،
أصـبـن بـهـنّ رُكْـنـاً بَـعْـدَ رُكْـنِ

* * * *

ميت أوعظ من حي

لمـا دفن علي بن ثابت وقف أبـو العتاهيـة على قبره يبكي طويلاً أحرّ بكاء ويردد هذه الأبيات :

أَلَا مَنْ لي بِـأُنْسِـكَ، يَـا أُخَيَّـا،
وَمَـنْ لـي أنْ أُبَـثَّـكَ مَـا لَـدَيَّـا
طَـوَتْـكَ خُـطوبُ دهـرِكَ بعـدَ نشرٍ،
كَـذَاكَ خُـطُوبُـهُ نـشـراً وطـيَّـا
فَـلَوْ نَشَـرَتْ قُـواكَ لـيَ الـمنـايـا،
شَكَـوْتُ إليـكَ مـا صَنَعَتْ إلـيَّـا
بكيتُـكَ، يـا عليّ، بـدمـعِ عيني،
فَـمَـا أغنَـى البُكـاءُ عـليـكَ شَيَّـا
كَفَى حُـزْنَـاً بِـدَفْنِـكَ، ثـمّ إنّي
نَـفَـضْـتُ تُـرَابَ قَبْـرِكَ مِـنْ يَـدَيَّـا
وكـانَتْ في حيـاتِـكَ لي عِـظَاتٌ،
فَـأَنْـتَ الـيـومَ أوْعَظ مـنـكَ حَـيَّـا

* * * *

يا ساكن الحفرة

وقال يرثي يزيد بن منصور خال المهدي :

أنْعَى يـزيـدَ بن منصـورٍ إلى البشـرِ،
أنْعى يـزيـدَ لأهْـلِ البْدوِ والحَضَـرِ
يـا سَاكنَ الحُفـرَةِ، المهجورِ سـاكنُها،
بَعـدَ المقـاصِرِ، والأبـوابِ، والحُجَـرِ

وجدتُ فَقْدَكَ في مالي وفي نَشَبِي،
وَجَدتُ فَقْدَكَ في شِعْرِي وفي نَثَري
فلستُ أدْرِي، جَزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً،
أمَنْظَرِي أسْوَأُ هُو فيكَ أمْ خَبَرِي

* * * *

لا تأمن الدهر

وقال يرثي شيخاً توفي ببغداد :

لا تَأْمَنِ الدَّهْرِ، وَالبَسْ   لِكُلِّ حينٍ لِبَاسَا
لَيَدْفِنَنَّا أُنَاسٌ   كَمَا دَفَنَّا أُنَاسَا

الهجاء عند أبي العتاهية

هجا والبةُ بن الحباب أبا العتاهية فقال أبو العتاهية يهجوه :

أوالِبَ! أنتَ في العَرَبِ،   كمِثْلَ الشِّيصِ في الرُّطَبِ[1]
هَلُمَّ إلى الموالي الصيـ   ـدِ في سَعَةٍ، وفي رَحَبِ
فأنت بنا لَعَمْرُ اللَّهِ   أشْبَهُ مِنْكَ بالعَرَبِ
غَضِبْتُ عَليكَ ثمَّ رَأيْـ   ـتُ وَجْهَكَ، فانجلى غَضَبِي
فَقُلْ ما شِئْتَ أقبلُهُ،   وإنْ أطنَبْتَ في الكَذِبِ
لقد أُخبرتُ عنك وَعَنْ   أبيكَ الخالِصِ العَرَبِ

---

(١) الشيص : تمر رديء . الرطب : ما نضج من اليسر قبل أن يصير تمراً .

فَـقَـالَ الـعَـارِفُـونَ بـهِ: مُـصَـاصٌ غيـرُ مُـؤتشِـبِ[1]
أتَـانَـا مِـنْ بِـلادِ الـرّو مِ أطلَسَ غيـرَ ذي نَـشَـبِ
أرَاكَ وُلِـدْتَ بـالـمِـرِّيـ خِ يـا ابنَ سبائكِ الـذّهَبِ

أنا فتاة الحيّ

وقال يهجو عبد الله بن معن بن زائدة :

لا تُـكْـثِـرَا، يـا صـاحِـبَـيْ رَحْـلي،
فـي شَـتْـمِ مَـنْ أكـثـرَ مِـنْ عَـذْلـي
سُـبحـانَ مَـنْ خصّ ابنَ مَـعـنٍ بـمـا
أرى بِـهِ، مِـنْ قِـلّةِ الـعَـقْـلِ
قـال ابـنُ مـعـنٍ، وجـلا نـفـسَـهُ
عـلى الـقـرابـيـنِ مِـنَ الأهْـلِ[2]
أنـا فـتـاةُ الـحـيِّ مِـنْ وائـلٍ،
فـي الـشَّـرَفِ الـبـاذِخِ والـنُّـبْـلِ
مـا في بني شَيبـانَ، أهـلِ الحِجَى،
جـارِيَـةٌ واحِـدَةٌ مِـثْـلي[3]
يُـكْـنـى أبـا الفَـضـلِ، فيـا مَـنْ رَأى
جـاريـةً تُـكْـنـى أبـا الـفَـضْـلِ

---

(١) المـاص من الشيء : خالصه وسره . المؤتشب : المختلط .
(٢) القرابين : الواحد قربان : جليس الملك الخاص لقربه منه .
(٣) الحجى : العقل .

ضربتني بنت معن

ضَـرَبَتـنـي بـكـفِّـهـا بـنـتُ معْـنٍ،
أَوْجَـعَـتْ كـفَّـهـا، ومـا أَوْجَـعَـتـنـي
ولَـعَـمـري لـولا أذى كـفِّـهـا، إذْ
ضـربتني، بـالسَّـوْطِ، مـا تـركَتني

عذر القاضي

همُّ القـاضـي بيتٌ يُـطْرِبْ قـال القـاضي لمّـا عُـوتِبْ
مـا في الـدّنيـا إلاّ مُـذْنِبْ هَـذَا عُـذْرُ القـاضي، واقلِبْ

* * * *

يريد انه إذا قلبت لفظة عذر بالتصحيف تصير غدراً .

* * * *

معنى يبني ويزيد يهدم

حـدث علي بن محمـد قـال : لمـا هجـا أبـو العتـاهية عبد الله بن معن غضب أخوه يزيد فهجاه أبو العتاهية بقوله :

بَنَـى مَـعْـنٌ، ويـهـدِمُـهُ يـزيـدُ،
كَـذَاكَ الـلَّهُ يَـفـعَـلُ مـا يُـريـدُ
فـمـعـنٌ كـان لـلحـسّـاد غـمّـاً؛
وَهَـذَا قـد يُـسَـرّ بِـهِ الـحَـسـودُ

يــزيــدُ يــزيــدُ في مَنْــعٍ وبُخْــلٍ ،
وَيَــنـقُصُ فــي الـنّــوالِ ولا يــزيــدُ

* * * *

حي ميت

قال يهجو أبا جعفر أحمد بن يوسف :

في عِــدادِ المــوْتَـى سَــاكني الــدّنْـ
يــا أبُــو جــعْـفَــرٍ أخــي وخــليــلي
ميّت مــات ، وهْــوَ في وارِفِ العيـ
ش ِ مُـقيـمــاً في ظِــلّ عيش ظليــلِ
لَـمْ يَـمُـتْ مـيـتَــةَ الــوَفــاءِ ولَـكِــنْ
مــاتَ عَنْ كــلّ صــالــحٍ وجمـيــلِ

فهرس الموضوعات

شعراء العرب

سلسلة دراسات تتناول عدداً من الشعراء العرب تطمح إلى الجمع بين الشمول والتركيز والدقة من جهة والتوفيق بين البحث العلمي وما يتطلبه القارىء من جهة ثانية.

- الخنساء.
- امرؤ القيس.
- النابغة الذبياني.
- طرفة بن العبد.
- زهير بن أبي سلمى.
- الأعشى.
- كعب بن زهير.
- حسان بن ثابت.
- الفرزدق.
- جرير.
- الأخطل.
- كثير عزة.
- جميل بن معمر.
- عمر بن أبي ربيعة.
- أبو نواس.
- الحسين بن الضحاك.
- ابن الرومي.
- البحتري.
- أبو تمام.
- المتنبي.
- أبو فراس الحمداني.
- أحمد شوقي.
- حافظ إبراهيم.
- خليل مطران.
- الأخطل الصغير.
- عمر أبو ريشة.
- بدر شاكر السياب.
- صلاح عبد الصبور.
- خليل حاوي.
- محمود درويش.